﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٣١ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج: 29 - 35]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

مِن صِفات المصلّين صيانةُ النَّفسِ من دَنَس الزّنى كَصيانَتِها مِن الشُّحّ بالحقوقِ

لمّا ذكَر الله تعالى في الآياتِ السّابقة التّحلّيَ بتطهير النَّفس بالصَّلاة، وتزكيةَ المال بالصّدقة؛ ندَب هنا إلى التَّخلّي عن أمرٍ جامعٍ بين تَدْنيس المال والنَّفْس، وهو الزّنى الحامل عليه شهوةُ الفَرْج، الّتي هي أعظَمُ الشَّهوات حَمْلًا للنَّفس على المُهلِكات، فقال بعد ذِكر التَّخويف بالعذاب؛ إعلامًا بأنَّه أسرعُ إلى صاحبِ هذه القاذورةِ وُقوعًا مِن الذُّباب في أحلى الشَّراب: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَلُومِينَ﴾: (لوم) تدور تصريفاتُها على معنيين كُلِّيَّين؛ أحدهما: العتابُ والعذْلُ، والآخر: الإبطاءُ[2]. ومِنَ الأوَّل: اللَّوْمُ: العَذْلُ. تقول: لامَهُ على كذا لَوْمًا ولَوْمَةً، فهو مَلومٌ. ولَوَّمَهُ - شُدِّد للمبالغة -. واللَّوَّمُ: جمعُ لائم، مثل راكعٍ ورُكَّع. واللّائمة: المَلامة. وألامَ الرَّجلُ؛ إذا أتى بما يُلامُ عليه. يُقال: لامَ فلانٌ غيرَ مُليم[3]، واللّومُ: "تعنيفٌ يَرْدَعُ عن التَّجاوز"[4]. فقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ أي: غير معنَّفين، ولا مَرْدوعين.

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 406.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لوم).
(3) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (لوم).
(4) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (لوم).

2) ﴿ٱلۡعَادُونَ﴾: (عدو) تدلُّ اشتقاقاتُها على تجاوُزٍ في الشَّيءِ لِما ينبغي أن يُقتصَرَ عليه[1]، ومعناهُ المحوريُّ: مُتَخَطَّى بطْنٍ أو فَجوةٍ في ظاهر، ومِنْهُ: عُدْوةُ الوادي والخَنْدَقِ: ترتَفِعُ مشرِفةً على فجوةٍ عميقةٍ. ونُظِر في التَّسْميات إلى الاضطرار إلى تَخَطّي تلك الفجوة، قال تعالى: ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾ [الأنفال: 42]. ومنه: عَدا الفَرَسُ: جَرَى وأحْضر. والعاديَةُ: الخَيْلُ المغيرة تَطْفِر في جَرْيِها، كأنَّما تتخطّى، أو هو مِن طَفْر المسافاتِ، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١﴾ [العاديات: 1]. وعدا فلانًا عن الأمرِ: صَرَفَهُ وشَغَلَهُ؛ أي: أبعدَهُ فَجَعَلَه يتَخَطّاه، وعدا الأمرَ وعدا عنه: جاوزه وتركه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ [الكهف: 28] أي: لا تتخَطّاهم عيناك تهاونًا بشأنهم.

ومن التَّخطّي المجازيِّ: مواقَعَةُ المحظورِ وارتكابُه. ومنه: عَدا عَدْوًا فهو عادٍ، وتعدَّى واعتدى فهو معتَدٍ، والاسمُ: العُدوان، قال تعالى: ﴿إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ [الأعراف: 163]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ أي: المتجاوزون ما أحلَّ الله. وأمّا قوله: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ۝١٦٦﴾ [الشُّعراء: 166] فهي في قوم لوطٍ بشأنِ فاحِشَتِهم المعروفَة[2].

3) ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾: (أمن) تدلُّ اشتقاقاتُها على معنَيَيْنِ كُلِّيَّين؛ أحدهما: ضدُّ الخيانَة، ومعناها: سكونُ القلبِ. والآخرُ: التَّصديقُ[3]. وأصلُ الأمْن: طُمأنينةُ النَّفس وزَوال الخوف، والأمْنُ والأمانَةُ والأمانُ في الأصل مصادر، ويُجعل الأمانُ تارةً اسمًا للحالِ الّتي يكون عليها الإنسانُ في الأمْنِ، وتارة اسمًا لِما يُؤْمَن عليه الإنسانُ، نحوُ قوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ [الأنفال: 27]؛ أي: ما ائتُمِنْتُم عليه.

وقوله: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأحزاب: 72] هي: كلمةُ التَّوحيد، أو العدْل، أو امتثال الأوامر، واجتناب المحارم[4]. والأمانة في قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ ما ائتُمِنوا عليه مِنَ الدّين والدُّنيا[5].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لوم).
(2) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عدو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أمن).
(4) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (أمن)، والسّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 673.
(5) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 219.

4) ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾: (عهد) تدور اشتقاقاتُها على الاحتفاظِ بالشَّيءِ وإحداثِ العهدِ بهِ[1]. والعهد: الأمانُ، واليمين، والموثِق، والذِّمة، والحفاظ، والوصيّة. يُقال: عهِدتُ إليه؛ أي: أوصيته. ومنه اشتُقَّ العهد الّذي يُكتب للولاة. وتقول: عليّ عهد الله لأفعلنَّ كذا.

والعَهْدُ: المنزلُ الّذي لا يَزالُ القومُ إذا انْتَأوا عنهُ؛ رجعوا إليه، وكذلك المَعْهَد. والمعهودُ: الّذي عُهِد وعُرِف. وعهِدْتُه بمكان كذا؛ أي: لَقيتُه. وعهدي به قريبٌ. وفي الحديث: "إنّ حُسْنَ العهد من الإيمان"[2] أي: رعايةُ المودَّة[3]. ومعنى ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ أي: أيمانِهم ومواثيقهم، وهذا شاملٌ للعهد الّذي عاهَدَ عليه اللّهَ، والعَهْدِ الّذي عاهدَ عليهِ الخَلْقَ[4].

5) ﴿رَٰعُونَ﴾: (رعى) تدور كثيرٌ مِنْ تصريفاتِها على المراقبةِ والحِفْظِ[5]، والرِّعْي - بالكسر -: الكلأُ نفسُه، كالمَرعَى؛ وهو ما تَغْتَذِي به الماشيةُ من نباتٍ غضٍّ طَريٍّ - أيًّا كان نوعه - فيَحفظ حياتَها، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى: 4 - 5]، وقال سُبحانَهُ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١﴾ [النّازعات: 31]، والرّاعي: حافِظُ الماشية، يُتيح لها المَرْعى، ويمكِّنها ويُراقبها، ويَحْفَظُها من الضِّباع والسِّباع. ويُجْمع الرّاعي على رِعاء، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ [القصص: 23].

ويُقال: رَعَى عَهْدَه وحقَّه وحُرمتَه يَرعاه؛ أي: حَفِظه. والرِّعاية والمراعاةُ: النَّظرُ في مصالح الإنسان وتدبير أموره، قال تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: 27]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾. ومن ذلك: الرّاعي: الوالي والأمير، والرَّعيَّة: العامّة، وكلُّ مَن وليَ أمرَ قومٍ فهوَ راعيهم، كما قال النَّبيُّ ﷺ "كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مَسْؤولٌ عن رعيَّتِه"[6]. وسائر ما ورد في القرآن من التَّركيب هو من هذه الرِّعاية المجازيَّة[7].

6) ﴿بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ﴾: (شهد) لا يَخْرُجُ شيءٌ مِن تصاريفها عن معنى: الحضور والعلم

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عهد).
(2) رواه الحاكم في المستدرك، برقم: (40)، وهو صحيح كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم: (2056).
(3) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: (عهد).
(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 887.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رعى).
(6) رواه البخاري في صحيحه، برقم: (893)، ومسلم في صحيحه، برقم: (1829).
(7) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (رعى).

والإعلامِ، ومِن ذلك الشَّهادةُ؛ فهي جامعة لِلمَعاني الثَّلاثة المذكورة[1]، ومِنْهُ الشَّهيدُ بمعنى: الشّاهِدِ؛ وهو المُخْبِرُ عَنْ عيانٍ بحقٍّ لغيرِهِ على آخَرَ[2]. ومِنْهُ الشَّهيد؛ وهو القتيلُ في سبيل اللّه، فقال بعضُ أهل العلم: سُمّي بذلك؛ لأنَّ ملائكة الرَّحمة تَشْهَدُهُ؛ أي: تحضره، وقال جماعةٌ من العلماء: سُمّي بذلك لسقوطه بالأرضِ، والأرض تُسَمّى الشّاهدة. والشّاهد: اللِّسان، والشّاهد: المَلِكُ. وقولُ اللّه ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: 18]، فقال أهلُ العلم: معناه أعْلَمَ اللّه ﷻ، وبَيَّن اللّه، كما يقال: شَهِدَ فلان عند القاضي؛ إذا بيَّن وأعلَمَ لِمَنِ الحَقُّ وعَلى مَن هو[3]. وقوله سُبحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ أي: يقيمون الشَّهادة، ويُؤَدّونها على مَن كانت عليهِ؛ مِنْ قريبٍ أو بعيدٍ، أو رفيعٍ أو وضيع، ولا يكتُمونها ولا يغيّرونها[4].

7) ﴿قَآئِمُونَ﴾: (قوم) تدور اشتقاقاتُها على معنَيَيْن كُلّيَّين؛ أحدهما: جماعةُ النّاسِ، والآخر: انتصابٌ وعَزْمٌ[5]. ومِن الثّاني: القيام؛ وهو انتصابُ الشَّيء إلى أعلى ثابتًا. كقامَة الإنسان، وقيامِهِ، وثبات الدّابّة، والماء في مكانه. وبَيْنَ ثباتِ الماءِ - أي: عدَمِ جَريانِهِ إذا لم يكن له مصرف - وارتفاعه - إذا كان له رافدٌ يزيده - تلازُمٌ. فمِن انتصاب قامَة الإنسان وغيره - مع عدم الانتقال - قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا﴾ [آل عمران: 191]، ومنه قامَ يفعَلُ كذا؛ كأنَّما انتصب لذلك، وجمَعَ نفسَهُ له وأخَذَ فيه، قال تعالى: ﴿لَّمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجنّ: 19]، وقوله سُبحانَهُ: ﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: 14].

ومِنَ الانتصابِ يُؤْخَذُ مَعْنى النُّهوض بالشَّيءِ[6]، وقال اللّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ أي: مراعونَ.

8) ﴿مُّكْرَمُونَ﴾: (كرم) تدلُّ أكثرُ تصريفاتِها على شرفٍ في الشَّيءِ[7]، يقال: كرُم الرّجلُ؛ إذا أعطى عن طيب خاطر وجادَ دونَ انتظار مقابل، وعكسُه: بخِل. وكرُم: نَبُل

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شهد).
(2) الجرجاني، التعريفات، ص: 129.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شهد).
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 219.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).
(6) جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قوم).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كرم).

وعزَّ، وعكسهُ: لَؤُمَ، وكرُمت هديَّتُه: نفُست وعزَّت، وأكْرَمَ، يُكرم، إكرامًا، فهو مُكرِم. وأكرَم الشَّخصَ: شرَّفه ونزَّهه، ورفَع شأنَه وفضّله، وأحسن معاملتَه، ويُقال: أكْرَمَ مَثْواه؛ إذا أنزله مُنزلًا كريمًا، وأكرم نفسَه عن التَّبذّل: صانها، وأكرم وِفادَتَه: أكرمه وقام بما يجِبُ القيامُ به تُجاهَه[1]، وهذا المعنى هو المرادُ في قولِه تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ مُّكۡرَمُونَ﴾.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُنال دارُ الكَرامَةِ بِطاعَةِ الله تعالى والتزامِ حُدودِهِ

والمُصَلّون كذلك هم المُمسِكون فروجَهم عما حرَّم الله تعالى، القاصرون إيّاها على أزواجهم، وإن كانوا رجالًا قصروها على إمائِهم الواقعاتِ تحتَ مِلْكِ أيمانهم، فهذا هو المأذونُ لَهُم فيه، فلا يُلامون عليه، ولا يعاقبونَ به.

فمَن نزَع إلى غير زوجَتِه وتطلَّع إلى الزِّنى، وكذا مَن نزعَت إلى غير زوجِها أو مَنَحَتْهُ نفسَها، و"مَن التمَس لفرجِه مَنكَحًا سوى زوجتِه أو مِلكِ يمينِه، ففاعِلو ذلك هم العادون، الّذين عدَوا ما أحلَّ اللّهُ تعالى لهم إلى ما حرَّم عليهم، فهم المَلومون"[2].

والمُصَلّون كذلك هم الّذين يراعون أماناتِ الله تعالى وأماناتِ الخَلْقِ، ويَلْتَزِمون العهدَ الّذي قطعوه على أنفُسِهم، فلا يُضيّعون الأمانات، ولا يَنقضون العَهْدَ. وهم الّذين يَقومونَ بأداء الشَّهادة على وجهه الأكمل، ولا يقيمون لخاطرٍ فيها وزْنًا، ولا يتهيَّبون مشهودًا ضدّه بالحقِّ – عظيمًا كان أو ظالمًا –، ولا يبتغون بذلك أجرًا.

والمُصَلّون كذلك هم الذين يُحافظون على صلاتهم، بل كأنَّهم يُسابِقونَها تبكيرًا إلى مواقيتِها، ويُحسنون إتمامَ شَرائِطِ كمالِها، ويُجدِّدونَ حينًا بعد حين فرائضَها وسُنَنها.

(1) عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (كرم).
(2) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 276.

فأولئك الموصوفون بالأوصاف الكريمةِ التي تُنْبِئ عن علوِّ أقدارهم عند ربِّهم، واستحقاقهم لإكرامهِ وفضله؛ هُم مُكْرَمون في جنّات النَّعيم، مستقرّون في جنّاتٍ لا يُقادَر قدرها، ولا يُدرَك شأنها. مكرمون فيها بكلِّ أنواع التَّكريم"[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾:

(الواو) في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ عاطفة، والمعنى: "وكذلك مِن صفات المؤمنين – معَ إيمانِهم باللهِ تعالى، وإقامة الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، والتَّصديق باليوم الآخر، والخَشْيَة من عذاب الله؛ –؛ هم أنَّهُم لِفروجهم حافظون؛ أي: حافِظون لها من الوقوع في الحرام"[2].

الآثارُ الإيجابيَّة للصَّلاة في حياة المؤمنين عديدةٌ ومنوَّعة

فـ (الواو) تُضيف إلى ما سبق من شَمائِل المُؤْمِنين المصلّين وفضائِلِهم فَضيلَةً أخرى، أهّلتهم لهذا الثَّناء الإلهيِّ الكريم، ممّا يُقَرّر أنَّ الآثار الإيجابيَّة للصَّلاة في حياة المؤمنين عديدةٌ، ومنوَّعة، في آحادهِمْ وعلى المُجْتَمَع كلِّه مِن حَوْلِهم.

دلالَةُ التَّعبير بالصّلة ﴿هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ جملةً اسميّة:

حفظُ المُصَلّين فُروجَهُم معَ وفرة قوَّتهم الشَّهويَة دليلُ صدقِهم في مُراقبَتِهم اللهَ تعالى

في التَّعبير بجملة الصِّلة اسميَّةً في قوله تعالى: ﴿هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ دلالةٌ على ملازمة صفتَي العفّةِ والطُّهر لهؤلاءِ الأطهار، ودلالةٌ على التزامِهم بحُدود الله تعالى، وعدم جُرأتهم على حرماته، وعلى صيانتهم أعراضَ النّاس وشرف الأنساب، على الرُّغم مِنْ "أنّ قوَّتهم الشَّهْويَة داعيةٌ لهم إلى ما لا يخفَى، وأنَّهم حافظون لها – أي: لفُروجهم – عن استيفاءِ مُقْتَضاها، وبذلك يتحقَّق كمالُ العِفَّة"[3]؛ وفي ذلك الدَّليلُ الأوضحُ على صِدْقِ إيمانهم، وصِدْقِ مُراقَبَتِهم لربِّهم ﷻ.

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 1583.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 15/ 1181.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 209.

نُكْتَةُ بناء الصِّلة ﴿هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ على تقديمِ الضَّمير:

المُجْتَمَعُ المُسْلِم يتميَّز بطُهر الأنساب، ويختَصّ بشَرَفِ الأعراضِ

في تقديمِ الضَّمير ﴿هُمْ﴾ وبناء جُمْلة الصِّلة عليه في قوله تعالى: ﴿هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ تمييز للمُصلّين، وإشادةٌ بِطُهرهم وطُهر مجتمعاتهم، وقَصرٌ لتلك الصِّفة عليهم دون سِواهم، وتعريضٌ بِغيرهم مِن أهل الانحلالِ الأخلاقيِّ والاختلال السُّلوكيّ؛ حيث جاءت تلك الأوصافُ كلُّها للمُصَلّين مقابِلة لأضدادِها مِن صفاتِ أهلِ الهلَعِ والجَزَع والمَنْع.

مَعْنى (اللّام) في قولِهِ: ﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾:

تَصَوُّن المصلّين مقرَّرٌ، وطُهْرُهُم مؤكّد

(اللّام) في قوله تعالى: ﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾ جيءَ بها لتقويةِ العامِلِ المؤخَّر ﴿حَٰفِظُونَ﴾؛ لأنَّ الأصلَ في مادَّة الحِفْظِ أنَّها تتَعَدّى بنفسِها من غير حاجة إلى حرف جرٍّ. و(اللّام) مع ذلك ضرورةٌ يقتضيها مقامُ الثَّناء؛ لتقرير التَّصَوُّن، وتأكيدِ حفظ الفروج. وأصل التّركيب: والذين هم حافظونَ فروجَهم، فقُدّم لفظُ (فروجهم)، وزيدت (اللّام) فصار التّركيب ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾.

كما أفادت (اللّام) تضمينَ ﴿حَٰفِظُونَ﴾ معنى: (ممسكون)، فصار معنى ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾: مُمسكون لها عمّا لا يحلُّ[1].

دلالَةُ التَّعبيرِ بالفُروج في قولِهِ: ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾:

حِفْظُ الفُروج صِفَةُ أهلِ الإيمان رجالًا كانوا أو نساءً

الفَرْجُ يُطْلَقُ على فرج الرَّجل والمرأة؛ وهو اسمٌ سَوْأتِهما[2]، فالمقصودُ بالفروج في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ أقبالُهم. فهم حافظون إيّاها عن كلِّ ما حرَّم اللّهُ تعالى عليهم وضَعَها فيه، إلّا أنَّهم غيرُ ملومين في تركِ حفظِها ﴿عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ مِن إمائِهم"[3].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 6/ 124.
(2) خان، محمد صديق، فتح البيان في مقاصد القرآن: 9/ 97.
(3) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 276.

لطيفَـةُ اخْتِصـاص الرِّجـال بالذِّكـر دون النِّساء في الضّمير المُضاف إليهِ في (فروجهم):

يُلمَح في اختصاصِ الرِّجال بالذِّكر دون النِّساء في ضمير جمع الذُّكور المضاف إليه في قوله تعالى: ﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾ دلالة التَّغليب؛ لأنَّ المقصد بـ (فروجهم) فروجُ جميع أهل الإيمان، سواء أكانوا ذكورًا أم إناثًا[1]، وذلك لأنَّ الرِّجال غالبًا - بغضِّ النَّظر عن تحلّيهم بالإيمان مِن عَدَمِه - هُم الأشَدُّ جرأةً على ابتغاء ما وراء ما أحلّ اللّه تعالى.

الـذِّكـر الحكيمُ يَـسْـتُـر عـلى النِّساء، ويراعي طَـبـيـعَـتَـهُـنَّ في الخَجَل والحياءِ

ومِن لطائف هذا التَّغليب كذلك قصْدُ السَّتر على أعراض النِّساء، وتنمية حيائهنّ، ومراعاة خجلهنّ، وكأنَّه يقول لهنّ: أنتنّ لسْتُنّ بمنزلةِ أنْ تبتغين ما وراءَ ذَلِكُنَّ؛ فقد جَبَلَكُنّ اللّه تعالى على الحِشْمَةِ، وحصَّنكنّ بالخَجَل.

وهذا المعنى الدَّقيق يَتَّسق مع ما روي مِنْ سُؤال هِند بنت عُتبةَ رسولَ اللّه ﷺ ذات يوم: أوَ تزني الحُرَّةُ يا رسول اللّه؟[2] مستبعِدةً وقوع الزِّنا منْها أصلًا.

دلالةُ تقديمِ ﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾ على الخبرِ ﴿حَافِظُونَ﴾:

في تقديم القيد ﴿لِفُرُوجِهِمْ﴾ على الخبر ﴿حَافِظُونَ﴾ مزيدُ عنايةٍ بِحفظ المقدَّم؛ لأنَّه مِن أهمِّ أسبابِ طُهْرِ المُجْتَمَع، وقيامِ العلاقاتِ فيه على أساسٍ متينٍ مِنَ الأنسابِ الطّاهرة؛ ففي تقديم هَذا القيد إشادَةٌ بِطُهْر أعراضِ المُسْلِمين، وشرف أصولِهم، وصيانةِ أنْسابِهم، بخلافِ غَيْرِهم مِمَّن تقدَّم ذمُّهم مِنْ غَيْرِهم.

طُـهـر المجتَـمَـعِ المُـسْـلِـم مِـن اختلاطِ الأنسابِ ضَـمِـنَ لأفـرادِهِ شَرَف أصولِهم، واسْـتَـأْهَـلَ مَدْحَهُم

دلالَةُ التَّعبير بالحِفْظِ، ونُكْتَةُ صَوْغِ ﴿حَافِظُونَ﴾ اسمَ فاعلٍ:

حِفظُ الشَّيء صيانَتُه، وحِراسَتُه، ورعايته[3]؛ وفي التَّعبير بمُفْرَدَةِ

قـيَـم الـطُّـهـر والـصَّـوْن ثابتَةٌ في مُجْتَمَع أهل الإيمان لا تَتَزَلْزَلُ

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 406.

(2) رواه أبو يعلى في مسنده، برقم: (4754)، وضعَّفه حسين سليم أسند في تحقيقه لمسند أبي يعلى: 8/ 194.

(3) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (حفظ).

الحِفْظِ في الخبر ﴿حَٰفِظُونَ﴾ دلالَةٌ عَلى صيانَةِ الأعراض وكأنها الدُّررُ النَّفيسةُ تُحرس في الصّناديق المُحْكَمة الوثيقة، فلا يَصِل إليها إلّا مالكُ مفاتيحِها، فلا يَبْتَذِلُها مُبْتَذِلٌ؛ و"معنى حِفظهم لها أنَّهم مُمْسِكونَ لَها بالعفافِ عمّا لا يحلُّ لهم"[1].

وصوغ الخبر ﴿حَٰفِظُونَ﴾ اسمَ فاعلٍ دليلُ رسوخ هذه القيمةِ الأخلاقيَّة العالية في مجتمع أهلِ الإيمان، وقيامِهم على حراسَتِها، ويقظتِهم لمكانتها؛ فلا يَطْرَأُ عليها تَبْديلٌ ولا يلحقها تَغْييرٌ. فَهُم ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ "حفظًا ثابتًا دائمًا عن كلِّ ما نهى الله عنه"[2].

و"وَصْفُهُم بأنَّهم لفروجهم حافظون مقابلَ قولِهِ في تَهْويل حال المشركينَ يوم الجزاء بقوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾؛ إذْ أخَصُّ الأحماء بالرَّجُل زوجُه، فقصد التَّعريض بالمُشْرِكين بأنَّ هذا الهول خاصٌّ بهم، بخلافِ المسلمين فإنَّهم هم وأزواجُهم يُحْبَرون؛ لأنَّهم اتَّقوا الله في العفَّة عن غير الأزواج، قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: 67]"[3].

سكونُ جَادلِ اللهِ تعالى في قَلْبِ العَبْدِ مِن أعظمِ أسبابِ حِفْظِ الفَرْجِ

وحفظُ الفُروج يكونُ بأن يَسكُن في قلبِهِ جلالُ الله تعالى وهيبَتُه، ويخشى عقابَهُ في المَعاد، وبِما جعله الله تعالى سببًا للتعفُّف من النِّكاح وملك اليمين؛ فيمنعه ذلك عن الزّنى ويحفظ الفرج، وبأن يُجيع بطنَهُ بالصّيام، كما قال النَّبيُّ ﷺ: "مَنِ اسْتَطاعَ الباءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإنَّهُ أغَضُّ لِلْبَصَرِ، وأحْصَنُ لِلْفَرْجِ، ومَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإنَّهُ لَهُ وِجاءٌ"[4]، وبما يترك النَّظر إلى النِّساء ولا يخلو بهنَّ، ويدع مجالسة الفُجّار وأهل الرّيبة[5].

(1) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 561.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 406.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 173.
(4) رواه البخاري في صحيحه، برقم: (1905)، ومسلم في صحيحه، برقم: (1400).
(5) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 209.

معنى ﴿إِلَّا﴾:

﴿إِلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ تَستثني الأزواجَ - رجالًا كانوا أو نساءً -، والسّراري - للرِّجال - مِن جُملة ما تُحفظ الفروجُ عنه، وتعالج بواقعيّةٍ صادقة أمينةٍ أمرَ الشَّهوة المركَّبة في الإنسان؛ حيثُ لا رهبانيَّة في الإسلام؛ بل الإسلام يعالج هذا الجانِبَ علاجًا ربانيًّا حكيمًا؛ فإذا أغلق أبوابَ الحرام؛ لَم يدَعِ النّاس في حرجٍ يُؤَثِّمُهم، بل يُتيح لهم بديلًا قويمًا. و"المعنى: أنَّهم لفروجهم حافظون في جميع الأحوال إلّا في حال تَزَوُّجِهم أو تَسَرّيهم"[1].

الإسلامُ دين الواقعيَّة الحكيمة؛ حيثُ يُتيح البديلَ الحلالَ لِما يُغلِقهُ مِن حرامٍ

فـ ﴿إِلَّا﴾ هنا تُسهم في بيان وجه الإشادة، وتُحَدّد السَّبيل القويم الّذي يَنْتَهِجُه المؤمنون، فيَسْتَحِقّون الثَّناء، ويستأهلون الثَّواب.

وذكر الخَطيبُ أنَّ ﴿إِلَّا﴾ هنا بمعنى (لكن)، الّتي تفيدُ الابتداءَ لا الاستثناءَ. فما بعدَها منقَطِعٌ عمّا قبله، وهذا يعني أنَّ حفظَ الفروجِ هُنا هو حفظٌ مُطْلَقٌ لا استثناءَ فيه، فإمّا حفظٌ أو غيرُ حِفْظٍ؛ لأنَّ غير الحفظِ يكون عدوانا، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى في موضع آخرَ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: 5 - 7]، فعدَمُ حِفْظِ الفروج يكون عُدْوانًا على حُرُمات النّاس. فالإباحَةُ للأزواج وما ملكَتِ الأيمان ليسَتْ على إطلاقها، وإنَّما هي محفوفَةٌ بسياجٍ مَتينٍ، ومحاطَةٌ بحِراسَةٍ قويَّة، لا يُؤْذَن بالدُّخول إليها إلّا بحسابٍ وتَحْتَ مراقَبة، وهذا يعني أنَّ للفروج حرمَةً ولو كان ذلك في مواقعِ الحلالِ[2].

(1) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 561.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 15/ 1181.

معنى ﴿عَلَىٰٓ﴾ في قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾:

قـــوَّةُ حِـفـْـظِ المُـــؤْمِـــنـــين فُروجَهُم لِكَمالِ مُراقبَتِهم اللهَ تعالى

﴿عَلَىٰٓ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ بمعنى (مِن)؛ أي: هُم حافِظون فروجَهم إلّا مِن أزواجهم، فيمنحوهُم إيّاها، ويبذلونها لَهُم، ويُمَكِّنونهم منها. وفي إيثار النَّظم الكريم ﴿عَلَىٰٓ﴾ دون (مِن) إيحاءٌ بقوَّة حفظِ المؤمنين فروجَهُم وتَحْصينِها من الحرام، وقَصْرها على أزواجِهم أو ما مَلَكَت أيمانهم دون سِواهُم.

وقال بعضُ أهل العلم: إنَّ ﴿عَلَىٰٓ﴾ "متعلّقة بمحذوفٍ وقعَ حالًا مِن ضمير ﴿حَٰفِظُونَ﴾؛ أي: حافظون لها في جميعِ الأحوال إلّا حالَ كونِهم والينَ أو قَوّامين على أزواجهم، وقيل: بمحذوفٍ يدُلُّ عليه ﴿غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾، كأنَّه قيل: يُلامون على كلِّ مباشَرٍ إلّا على ما أُطلق لَهُم، فإنَّهم غير ملومين"[1].

دلالَةُ التَّعبير بالأزواجِ، وإشارَةُ الجَمْعِ والإضافةِ في ﴿أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾:

الـثَّـنـاء بطُـهـر أعـراض المُصَلّين يشـمَلُ الـرّجال والنِّساء جميعًا

في التَّعبير بالزَّوجيَّة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ إشارة إلى كمال الصِّلةِ بين الأزواج، وقيامها على أساسٍ مِنَ المحبّة والتّوادّ، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحۡمَةً﴾ [الرّوم: 21]. وفي اصطفاء جمع التَّكسير (أزواج) دون جمعِ الإناثِ الصَّريح (زوجات) إفساحُ الدّلالة لشمولهنّ بالحُكْم مع الرِّجال، وتلك هي الإشارةُ الوحيدة لهنَّ في الآية الكريمة، لكنَّه ربّما غلَّبَ ذِكر الرِّجال في عناصر التَّركيب. وتلكَ الإشارةُ اللَّفظيَّة في جمع التَّكسير تَدْحَضُ ما قيل مِنْ أنَّ المراد "هنا الرِّجالُ خاصَّةً دون النِّساء، بدليل قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ للإجماع على أنَّه لا يحلُّ للمرأة أن يطأها مَنْ تملكه"[2]؛ لأنَّنا نقولُ إنَّ اللَّفْظَ يعمُّ الرِّجالَ والنِّساءَ، وتُستثنى المرأة مِنْ وطْءِ من تَمْلِكُهُ لها بدلالةِ الإجماعِ، وباقي صوَرِ الحِفْظِ باقيةٌ على عمومِها.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 6/ 124.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 561.

وفي جمع ﴿أَزْوَاجِهِمْ﴾ مراعاةٌ لِلجَمْعِ في إيرادِ أوصافِ المؤمنينَ. والإضافة في ﴿أَزْوَاجِهِمْ﴾ إضافة مِلكٍ واختصاصٍ؛ حيث يَمْتَلِكُ كلٌّ من الزّوج والزّوجة بُضع الآخر ويختصُّ بهِ، ويجبُ على الآخر حِفْظُ بُضعه إلّا منه.

وفي تقديم الضّمير ﴿هُمْ﴾ على الخبر ﴿حَافِظُونَ﴾ تنبيهٌ إلى قَصْر هذه الأوصافِ الشَّريفة على المصلّين - رجالًا ونِساءً -، وتخصيصِهم به دون غيرهم من النّاس، وذلك لا يمنَعُ مِن احتمال وجودِ هذا الصِّنف في الأُمَمِ الأخرى، لكنَّه في مُجْتَمَعاتِهم وأُمَمِهم يمثِّل نسبةً لا تكاد تُذكَر.

نُكْتَةُ تَقْديمِ ﴿أَزْوَاجِهِمْ﴾ على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾:

رُتْبَةُ زَوْجَةِ الرَّجُلِ مُقَدّمَةٌ على رُتْبَةِ أَمَتِه

في تقديم ﴿أَزْوَاجِهِمْ﴾ على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ إشارةٌ إلى تقدُّم رُتبة الزَّوجات على رُتبة الإماء، ومراعاةٌ "لشَرَفِهِنَّ وشرَفِ الولَدِ بهِنّ"[1]، فدلَّ التَّقديم على أنَّ رُتبة زوجة الرَّجل مقدّمةٌ على رُتبة أَمَتِه؛ ممّا يُرتِّب للزّوجة حقوقًا ليست للأمة، وتفاصيلُ ذلك في مظانّهِ مِن كتُبِ الفقه.

معنى ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾:

كُلّما تقدّم الزَّمان؛ ظهَر في النَّظم القرآنيّ إشاراتٌ صِدقٍ جديدةٌ

﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ عاطفةٌ بِمَعْنى (الواو)؛ أيْ: أنَّهم لِفُروجِهم حافِظون إلّا على أزْواجِهم وعلى ما ملكَت أيمانُهم، لكنَّ دقَّة التَّعبير بـ ﴿أَوْ﴾ تَكْمُن في شُمولِ الثَّناء على مَن لديهم إماءٌ غير أزواجٍ، فرُبَّما كانت لدى الرَّجُل أَمَةٌ وليسَ لديهِ زوجَةٌ، فجاءت ﴿أَوْ﴾ لتُعْطيَ معنى التَّنويع والتَّعديد، لا وجوبَ الجمع الّذي كانت (الواو) سَتُعْطي؛ فآثَر النَّظمُ الكريم العطفَ بـ ﴿أَوْ﴾ احتراسًا من اشتراط جَمْعِ الرَّجل ملكَ اليمين إلى الأزواج ليدخُل في هذا الثَّناء.

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 407.

وواقع الأُمّة الآن - بعد ذهابِ مِلك اليمينِ - يوجب ﴿أَوۡ﴾ هنا، ويُظهر لها وجهَ إعجازٍ دقيقٍ، ولو جاءت (الواو) مكان ﴿أَوۡ﴾ هنا؛ لظهر في النَّظم ما لا يليق، ولا يتأتّى في كلام العليم الخبير ﷻ؛ إذ (الواو) توهِمُ التَّشْريكَ بخلافِ ﴿أَوۡ﴾ الدّالَّةِ على التَّعديد.

علَّة التَّعبير بالموصول ﴿مَا﴾ دون (مَن) في قوله: ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾:

المقصودُ بـ ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ "سراريهم، عبَّر عنهُنَّ بـ ﴿مَا﴾ إجراءً لَهُنَّ - لمَلوكيَّتِهِنَّ - مُجْرى غيرِ العقلاء، أو لأنوثَتِهِنَّ المُنْبِئَةِ عن المقصود"[1]، وفي إيثار النَّظم الكريم التَّعبيرَ عنهنّ بالموصول ﴿مَا﴾ دون (مَن) في قوله: ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾؛ رحمةً بهنّ، ومراعاةً لضعف عقولهنّ، وتوجيها لأسيادهنّ إلى الرِّفق بهنّ، والإيحاء إليهم بأنَّه ينبغي عليهم إذ يَسْتَمْتِعون بِهنَّ أن يرحموهُنَّ، فإنَّهنّ في الخدمة والتَّنقُّل بين الأسياد يَقضين أعمارهنّ، بلا عناية - غالبًا - بتربية عقلٍ، ولا تنمية فِكْرٍ.

توجيهُ الأسيادِ إلى الرِّفق بالإماءِ مُراعاةً لضَعْفِهِنَّ

وقال الشّوكاني: "وعبَّر عنهُنَّ بـ ﴿مَا﴾ التي لِغير العُقلاء؛ لأنَّه اجتمع فيهنَّ الأنوثةُ المُنبئةُ عن قُصور العقل، وجوازُ البيع والشِّراء فيهن كسائر السِّلع، فأجراهُنّ بهَذَيْنِ الأمرين مُجْرى غيرِ العقلاء"[2].

دلالَةُ التَّعبير بالمِلك في المعطوف ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾:

في إيثار التَّعبير بمفردة (المِلك) في جملة المعطوف ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ إشارةٌ إلى كمال حَصانَةِ فُروج المصلّين عن كلِّ المحرَّمات، وأنَّها لا تتعدّى إماء السّيِّد اللّاتي يملكهُنّ إلى غيرهنَّ من الإماء؛ لذلك اقْتَضى المقامُ التَّعبيرَ بِملك اليمين دون التَّعبير بـ (الإماء) أو (الفتيات) مُطْلَقًا ممّا اقتضاه مقاماتٌ أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ

المؤمنونَ لا يتطلَّعون إلى غير ما يَمْلِكونَ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 6/ 124.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 561.

وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النّور: 32]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النّور: 33].

نُكْتَةُ إسناد المِلْكِ إلى اليمين في جملة الصِّلة ﴿مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾:

قـوَّة التَّحكُّم والتَّصرُّف لا تَمْنَعُ كمالَ الرَّحمة والشَّفقَةِ

أُسنِدَ الملك إلى اليمينِ في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ للدّلالَةِ على قوَّةِ السَّيطرة والتَّحكّم بالمملوك؛ لِما تُشْعِرُ بِهِ اليمينُ مِنَ القوَّةِ.

إلّا أنَّ قوّة التَّحكُّم لا تقتضي الظُّلْمَ والإهانَةَ، بل إنَّ الشَّرْعَ الكريمَ أمرَ العبادَ برحمةِ المملوكينَ، كما في قول النَّبيِّ ﷺ: "إخْوانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللّه تَحْتَ أيْديكُمْ، فَمَنْ كان أخوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمّا يَأْكُلُ، ولْيُلْبِسْهُ مِمّا يَلْبَسُ، ولا تُكَلِّفوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فَإنْ كَلَّفْتُموهُمْ فَأعينوهُمْ"[1]، وفي أحاديثَ أخرى كثيرةٍ.

معنى (الفاء) في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾:

تعليلُ ما يُفيدُهُ الاستثناءُ مِن عـدَمِ حِـفْـظِ الفُروجِ مِنْهُنَّ

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ تفريعيَّةٌ؛ حيث تُفرِّع الحُكمَ بعَدَم المَلامة على الاقتصارِ على الأزواجِ ومِلك اليمين وحِفْظِ الفُروج إلّا منهنّ، وذلك يدلُّ على أنَّ الاعتداءَ والتَّخطّي لهذين القِسْمَيْن موجِبٌ اللَّومَ والحدَّ بحسَبِه؛ فالجملة "تعليلٌ لِما يُفيده الاستثناء مِن عدم حِفْظِ فروجِهم مِنْهُنَّ؛ أي: فإنَّهم غير ملومين على عدم حِفْظِها منهُنَّ"[2]؛ "لأنَّ معاشرة الأزواجِ وما ملكت الأيمانُ ممّا أحلّه اللّه تعالى"[3].

وذهب بعضُ أهل العلم إلى أنَّ الفاءَ فصيحةٌ؛ لوقوعِها في جواب شرطٍ مقدَّرٍ؛ "أي: فإنْ بذلوا فروجَهُم لأزواجهم أو إمائهم فإنَّهم غير ملومين على ذلك، والمرادُ بيانُ جِنْسِ ما يَحلُّ وطْؤُه في الجملة،

(1) رواه البخاري في صحيحه، برقم: (30).
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 6/ 124.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 102.

وإلّا فقد قالوا: يَحرم وطءُ الحائِض، والأمَةِ إذا زوِّجَتْ، والمُظاهَرِ منها حتّى يُكفِّر، وهذا مُجْمَعٌ عليه"[1].

معنى (إنّ)، ولطيفةُ توكيدِ الخبَرِ في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾:

كـرامـةُ أهـلِ العَفافِ والطُّهر

(إنّ) في قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ حرفٌ دالٌّ على التَّوكيد، اقْتَضتْها أهمّيَّة الحُكم في نفسه بغَضِّ النَّظر عن وجود منكِر، كما أنّ فيها تنبيهًا قويًّا إلى وفرة كرامةِ هؤلاء العَفيفينَ الأطهارِ مِنَ المصلّين، وإلى ضياع كرامَةِ غيرِهم مِمَّن لا يَحفظون فُروجَهُم مِن غير ﴿أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾.

ومِن مُقْتَضيات التَّوكيد كذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ "أنّ الأصلَ كان استحقاقه للمَلام؛ لإقباله على تحصيلِ ما له مِن المرام"[2]، وذلك لأنَّ النّاس مخلوقونَ للعبادَةِ، وكان الأصلُ في العبادَةِ التَّجرّدَ من العادةِ، فإن لم يتجرَّد عنها؛ كان ملومًا، فدُفِعَ ذلك بنفي اللَّوْمِ موكَّدًا.

معنى ﴿غَيْرُ﴾ في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾:

نفيُ الملام عَنْهُم يَـؤولُ إلى الثَّناء عَلَيْهِم

﴿غَيْرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ صرفَت الحُكمَ عَنْ هؤلاء الأطهارِ إلى حالٍ أخرى غيرِ حالِ الملام؛ وهو الحُكم عليهم بنَقيضِه مِن الثَّناء، لكنَّ النَّظم الكريم اكتفى بنَفْي الملام؛ لدَفْعِ ما قد يُتوهَّمُ من التَّأثُّم بإتيانِ الحلالِ. فكان سَوْق ذلك الحُكم هنا نظرًا لحالِهم؛ أوْلَى مِن سوْق الثَّناء الصَّريح، ثمَّ إنَّ هذا يؤولُ إلى الثَّناء ويقرِّره.

دلالَةُ التَّعبير باللَّوْمِ المَنْفيِّ، ولطيفَةُ صَوْغِه اسمَ مفعولٍ في ﴿مَلُومِينَ﴾:

انـتـفـاءُ عـمـوم اللَّوْمِ عَنْهُمْ

في التَّعبير باللَّوم المَنْفيِّ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ دفعٌ لتوهُّم غير المرادِ؛ وذلك لأنه لمّا كان النّاكحُ على وجهِ العبادةِ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 210.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 407.

والتَّقرُّبِ "نادرًا جدًا، وكان الأصلُ في العبادة الخروجَ عن العادةِ، وإن لم يتجرَّد للعبادة كان ملومًا؛ اكتفى في مدحه بنفي اللّوم عنه"[1].

وصيغَ لفظُ ﴿مَلُومِينَ﴾ على زِنَةِ اسمِ المفعول؛ للدّلالة على عدم توجيهِ اللَّوم إليهم من أيِّ جهةٍ كانَتْ، فالشَّرع لا يلومهم، والنّاس لا يلومونَهُم، والقيَمُ والأخلاقُ القويمة المستقيمة لا تلومُهم. فاسْمُ المفعول أفسَحَ لعمومِ نَفْيِ لَوْمِهم مِن كلِّ مَن يتأتّى منه اللَّوم، وذلك ما أوجزه البقاعيُّ في قوله: "﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ أي: في الاستمتاع بِهنَّ مِن لائمٍ ما؛ كما نبّه عليه بالبناءِ للمفعولِ"[2].

نُكْتَةُ حَذْفِ متعلّق اللَّوم: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾:

نفيُ اللَّوم عن جميعِ وُجوهِ الاستمتاعِ

حُذِف متعلّق اللَّوم في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾، ولم يحدّد عن أيِّ شيء هم غير ملومين؟ والتَّقدير: إنَّهم غَيْرُ مَلومينَ عَلى تركِ الحِفْظِ ممّا ذُكِرَ[3]، فهم غَيْرُ مَلومينَ في الاستمتاع بِهنَّ بأيِّ وجهٍ كان مِن لائمٍ ما[4] كائنًا من كان.

لطيفة التَّعبير بجملة ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾:

المؤمِنُ بالرُّسل لا يلومُ آتيًا زوجتَهُ أو مِلْكَ يمينِه

قد يُتوهَّمُ أنَّ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ غُنيةً عن قوله تعالى بعده: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾؛ وذلك لأنَّه قد أباح لهم الاستمتاعَ بأزواجهم وبمَن كان تحتَهم بِملك اليمين، ولا يجوزُ أن تُلحق اللّائمةُ باستعمالِ المُباح المطلق، إلا أنَّه لمّا كان مِن النّاس مَن يُحَرِّم الاستمتاعَ بِملك النّكاح وملك اليمين، أخبرَ تعالى أنَّهم - عند مَن اعتقد الإيمانَ بالرُّسل - غيرُ ملومين، وإنَّما يَلومهم مَن أنكر الرِّسالة.

وجائزٌ أنْ يكون معناه: أنَّهم وإن مَنعوا النِّساءَ عن الجماعِ بِما

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 407.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 407.
(3) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 539.
(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 407.

هو خيرٌ لهم - مِن الصّيام وأنواع القُرَبِ - لَمْ تَلحقهم اللّائمةُ كما يُلام مَن يَمنع آخرَ عن طاعة الله تعالى، وإذا استمتعوا بِملك النِّكاح وملك اليمين؛ لم يُبلوا بالزّنى فتلحقهم اللّائمة بذلك[1].

معنى (الفاء) في قوله: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾:

الحثُّ على حِفظِ الفُروج والتّحذير مِن تَرْكِ ذلك

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ تفصيليَّةٌ، تُفصِّل حُكم الحالِ المقابِلة لحالِ الطُّهْر السّابقة مِن حِفْظِ الفُروج؛ وهي حالُ ابتغاء ما لا يحلّ مِن غير الأزواج وملك اليمين والاعتداء عليها؛ فالفاءُ تُسهم في تفصيلِ الحالِ الموجِبة للَّوْم والعِقاب؛ فتَبْدو الهوّة السَّحيقة بين الحالَيْن؛ فتُغْري على الأولى؛ وتُبَشّع الثّانية وتحذِّر منها، وذلك شأنُ البيان العالي؛ حين يقابل الحالَ بضدِّها، فتزيد كلٌّ منهما مُقابِلَتَها قوَّةً في بابها.

علّة التّعبير بالموصول (مَنْ) في قوله: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾:

الاسمُ الموصولِ يُفسِح لِذِكْرِ تفاصيلِ جُمْلَةِ الصِّلة

التَّعبيرُ بالموصول (مَنْ) في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ يُفْسِحُ التَّركيب لِذِكر جملة الصِّلة، بما فيها مِن عِفّة التَّعبير، وذلك لا يُتيحه التَّعبير بالاسم الصَّريح، كما لو قيل في غير القرآن الكريم: (فالزُّناة هُمُ العادونَ). وليَدْخُلَ في قوله: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ كلُّ صوَرِ الاستمتاعِ المحرَّمةِ، وذلك غيرُ مقتصرٍ على الزِّنى.

وفي الموصولِ أيضًا إيماءٌ إلى وجه بناء الخبرِ، وأنَّه مِن جنسِ العقوبَةِ والاعتداءِ.

نُكْتَةُ التَّعبير بالابْتِغاءِ، ودلالةُ صيغَةِ "الافتعال" في الفعل ﴿ٱبْتَغَىٰ﴾:

معالجَةُ الشَّرع للنُّزوع النَّفسيِّ نحوَ المَعْصيَةِ قبلَ التَّورُّط في وحْل الرَّذيلَةِ

معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ﴾: "فمن التمَس لفرجه"[2]، و"طلب منكَحًا"[3]. والتَّعبير بالابْتِغاء في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنّة: 10/ 209.
(2) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 276.
(3) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 539.

– مع ما فيه مِن طُهْر العبارة وعفَّة اللَّفظ – يشخِّص حالَ النُّزوع النَّفسيِّ لدى هذا المنحرِف، كما يصوِّر حالَ الهياج الجَسَديّ الحيوانيِّ لديه؛ إذِ الابتغاءُ قد يكون نفسيًّا وقد يكون سعيًا جسديًّا.

وفي مادَّة الابتغاء معالجةٌ لحالِ النُّزوع النَّفسي مبكِّرًا قبل ثورة النُّزوع الجسديِّ، فيعالجُ المقدِّماتِ قبل التَّورُّط في وحْل الأفعالِ والوصول إلى مباشَرة الرَّذيلَة. وفيه تنبيهٌ إلى أنَّ اللَّوم يتوجَّه إليه بمجرَّد الابتغاء والطَّلب، فضلًا عن التَّورُّط في الفعل، وذلك يتَّسقُ مع التَّحذير من الاقتراب في قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: 187].

وعُبِّر بصيغة الافتعال في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾؛ لأنّ ذلك لا يقع إلّا عن إقبالٍ عظيمٍ مِن النَّفس، واجتهادٍ في الطَّلب[1].

لَطِيفَةُ حَذْفِ مَفْعولِ ﴿ٱبْتَغَىٰ﴾:

أمسَك النَّظم الكريم عن ذِكر مفعول ﴿ٱبْتَغَىٰ﴾، والتَّقدير: فَمَنِ ابْتَغَى مَنكَحًا سوى زوجتِه أو مِلكِ يمينِه[2]، أو: فمن ابتغى الحرامَ أو الزّنى أو ما لا يَحلُّ له. والإمساكُ عن ذكره مِن عِفّة النَّظم الكريم، التي تُضاف إلى عِفَّته باصطفاء لفظِ الابتغاء.

التَّراكيب القرآنيَّة تطبِّق أحكامَها المعنويَّة

وفي طَيِّ مفعول الابتغاءِ تنفيذٌ لفظيٌّ واقعيٌّ للحُكم المعنويِّ، وكأنَّه يقول: إذا كان الإمساكُ عن التَّلفُّظ بذلك المفعول المستقبَح منهجًا مرغوبًا، وكان ذِكرُه محذورًا؛ فما الظَّنُّ بِجُرم إتيانه فعلًا، وبفظاعة عقوبتِه حدًّا؟!.

دلالة التَّعبير بلفظِ الوراء في قوله: ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾:

المقصود بـ ﴿وَرَآءَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾: خلاف ذلك؛ أي: "غير الزَّوجات والمملوكات"[3]، فـ "كأنَّه أمرٌ قد حُدَّ فيه حَدٌّ؛

عفَّة الإنسان طريقُ الاستقامةِ إلى الأمامِ، بخلافِ الحرام فهوَ انتكاسةٌ تُؤَخِّر مقارِفَه إلى الوراءِ

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 407.
(2) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 276.
(3) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 539.

فمن طَلب بُغيتَه وراءَ الحَدِّ؛ فهو كمستقبِل حدٍّ في الأجْرام وهو يتَعَدّى وراءَهُ"[1].

وفي التَّعبير بلفظ ﴿وَرَآءَ﴾ إيحاءٌ بأنَّ عفَّة الإنسان، وحفظَ فرجِه عمّا سوى ما أحلّ اللّه تعالى لهُ؛ هو الاستقامةُ السّائرة إلى الأمام، وأنّ الحلال هو المقدَّم، وأنَّ الحرام ينبغي أن يكونَ في حياةِ الأطهار إلى الوراءِ، فيولّيه العاقلُ ظهرَه، وأنّ الالتفاتَ إليه انتكاسٌ لا يليقُ.

مَرْجِعُ الإشارَة، ودلالَةُ البُعْدِ في قوله: ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾:

الحلالُ يَسمو بمنزلَةِ المُؤْمِن، والحرامُ رَذيلَةٌ تُسْقِطُ المُروءَةَ

في التَّعبير عن الحلالِ السّابق ذِكْرُه - مِن "الحدِّ المتَّسِع؛ وهو أربعٌ مِن الحرائر، وما شاء من الإماء"[2] - بإشارةِ البَعيد في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ إشادةٌ ببُعد منزلة الحلالِ في الفَضيلة، وسموِّ منزلة المؤمن القاصِر نفسَه عليه، بخلاف الحرام الّذي يلوِّث أصحابَه، ويُسْقِطُهُم من المروءة، ويَحطُّهم في نظر النّاس.

معنى (الفاء) في جُمْلَةِ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾:

توثيقُ عُرَى الكلامِ وتوثيقُ رِباطِهِ

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ واقعةٌ في جوابِ الشَّرط (مَن ابتغى وراء ذلك)، وتؤسِّس للحُكم بالعُدوان وتجاوزِ الحَدّ على طالب الحرامِ ومُبْتَغيه، وبها تتواثق عُرى جُمْلَتَي الشَّرط والجواب، وذلك من فضائلها.

دلالَةُ التَّعبير بإشارةِ البُعْدِ في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾:

بقدر مَذَمّة أهل الشَّرّ الموغلينَ في الحرام تكونُ مَـمْـدَحَـةُ أهلِ الخير المُلْتَزمين بالحلالِ

التَّعبير باسم الإشارة الدّالِّ على البُعد في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ إيماءٌ إلى "الّذين هم في الحضيض مِن الدَّناءة وغاية البُعد عن مَواطن الرَّحمة"[3]، وقد جاءَت بإزاءِ إشارة البُعد ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾؛ لتُفيد بُعْدَ منزلة ذلك

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 369.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 6/ 124.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 408.

المُعْتَدي في الشَّرِّ والرَّذيلَةِ والحَرام، بقَدْرِ بُعْدِ منزلَةِ أهلِ الطُّهر في الخَيْر والفَضيلَة والحلالِ.

دلالَةُ التَّعبير بالخبَرِ ﴿هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ جملةً اسميّة، ولطيفةُ بِنائِها على تقديمِ الضَّمير:

عُـدوان الـزُّنـاة عـلى أعـراضِ النّاس، وتخليطُ أنْسابِهِم لا يكادُ يُضاهيه عُدْوانٌ

في صَوْغِ الخبَرِ ﴿هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ جملةً اسميَّةً تأكيدُ الحُكم عليهم بأنَّهم ﴿هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ الرّاسِخون في العُدْوانِ، المُتجاوِزونَ حدودَ الله تعالى.

وبناء جُملة الخبر ﴿هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ على تقديم الضَّمير ﴿هُمُ﴾، مع تعريف الخبرِ بـ (أل) ﴿ٱلْعَادُونَ﴾ قصرٌ حقيقيٌّ ادِّعائيٌّ مبنيٌّ على التَّجوّز في عموم نفي العدوان عن غَيْرِهم أصلًا، واعتبار عدوانِ غيرِهِم بالنِّسبة لعُدْوانِهم كأنَّه ليس عدوانًا؛ إذْ من غيرهم مَنْ هوَ عادٍ في جوانبَ عديدةٍ، لكنَّ جريمة هؤلاء، وعُدوانَهُم على أعراض النّاس، وتَخْليطَ أنسابِهم لا يكاد يُضاهيه عدوانٌ. وتقديمُ الضَّمير ﴿هُمُ﴾ يزيدُ الحُكْمَ عليهم بالعُدْوانِ تأكيدًا إلى تأكيدٍ.

معنى (أل) في ﴿ٱلْعَادُونَ﴾، ولطيفةُ صَوْغِه اسمَ فاعل:

مبتغي المُتْعَةِ المُحَرَّمة يرتكِبُ عُدوانًا صريحًا

﴿ٱلْعَادُونَ﴾ هم الّذين عدَوْا ما أحلَّ اللّهُ تعالى لهم إلى ما حرَّم عليهم؛ فهم المَلومون[1]، والعادي هو المُفْسِد؛ أي: هم الّذين أفْسَدوا؛ فاخْتَلَطَت أنسابُهم، وتطرَّقت الشُّكوكُ إلى حصانَةِ نِسائِهِم، ودخلَت الفَوْضى في نُظم عائلاتِهم، ونشأت بينَهُم الإحَنُ مِنَ الغَيْرَة[2]، والعادي هو الظّالمُ في الحقيقَةِ؛ فالّذين يَبْتَغونَ ما وراء الحلالِ هُم عادونَ؛ حيث ظَلَموا أنفُسَهُم فوَضَعوها في موضعٍ لَم يؤذَن لَهُم وضْعُها فيه[3].

(1) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 276.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 173.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 210.

ففي اصطفاء مفردةِ العدوانِ في الخبر ﴿ٱلۡعَادُونَ﴾ تشنيعٌ عليهم، وتحذيرٌ من سلوكِهِم المشين، وتهديدٌ لهم ليَرْتَدِعوا عن مجرَّد الابتغاء، وقبل النُّزوع إلى مباشرة العُدوان.

وفي صوغ الخبر - ﴿ٱلۡعَادُونَ﴾ - اسمَ فاعل تأكيدٌ على رُسوخِهِم في وصفِ العُدْوان، ووَصْمِهِم بهِ وصمًا لاصقًا بهم. ويقرِّره تعريفُ ﴿ٱلۡعَادُونَ﴾ أي: هُم "الكاملون في العدوان، المُتناهونَ فيه، كما يشير إليه الإشارةُ والتَّعريف وتوسيط الضَّمير المفيد لجعلهم جنسَ العادين أو جميعَهم"[1]، وأنَّهم هم "المختصّون بالخروج عن الحدِّ المأذون فيه"[2] دون المصلّين الأنقياء، و"هذه الآيَةُ تدُلُّ على حُرْمَةِ المُتْعَةِ ووَطْءِ الذُّكرانِ والبهائم والاستِمْناءِ بالكَفّ"[3].

معنى (الواو) في قولـه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾، ووجهُ المناسبةِ بينَ الأمانة وما قبلها:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾ عاطفة؛ حيثُ تُضيفُ للمُصَلّين مكرُمَةً أُخرى، وتعدِّد لهُم فضيلةً جديدَةً، وتَجْمَعُ لهُم شرفًا إلى شرَفٍ، وهو امتلاءُ نفوسِهِم، وعدمُ طَمَعِهِم في أمانات النّاس، إلى عدم تَضْييعِهِم تكاليفَ ربِّهم ﷻ.

ومناسبَةُ إلحاقِ الإشادةِ بِطُهر أعراضِهِمْ الإشادةَ بأمانَتِهِم، وصَوْنِهِم أماناتِ غيرِهِم أنَّه لمّا ذَكَرَ العاديَ؛ أتبَعَهُ الواقفَ عند الحدود، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾؛ أي: يقومون بما يجِبُ عليهم في كلِّ ما ائتمَنَهم اللّه تعالى عليه مِن حقِّه وحقِّ غيره[4].

دلالَةُ التَّعبير بالصّلة ﴿هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ جملةً اسميَّة:

في التَّعبير عن جملةِ الصِّلة ﴿هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾

لُحماتُ نسَب المعاني القرآنيَّة متينَةٌ، ووجوهُ تلاقيها بديعَةٌ

كمالُ رِعايَةِ المُؤمنين للأماناتِ والعُهودِ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 210.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 408.
(3) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 539.
(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 408.

جملةً اسميَّة دلالةٌ على تَمرُّسهم على سُلوكِ حِفْظِ الأمانات ورعاية العَهْد، ودوامِهم على ذلك حتّى اشتُهِروا به، وتميَّزوا فيه، وكأنَّهم - هم دونَ بقيَّة النّاس - الموصوفون بذلك ولا يُشارِكُهُم فيهِ أحَدٌ، وأنَّ رِعايَةَ غَيْرِهِم للأماناتِ والعَهْدِ لا تُذكر بإزاءِ دَرَجَة كمالِ المُصَلّين في هذا البابِ مِنَ الفضائل.

وَجْهُ المُناسبَةِ في رعايةِ الأمانات والعهدِ في السّياق:

المـؤمِـنُ دائِـمُ الرِّعاية للأمانَةِ والعَهْدِ، والكافِرُ مضيِّعٌ للأمانَةِ ناكِثٌ للعهْدِ في الدّنيا والآخرة

ذَكَر الله تعالى رَعْيَ الأمانات والعهدِ هنا لِمُناسبة وصفِ ما يَودّ الكافر يومَ الجزاء أنْ يفتديَهُ مِنَ العذاب بفصيلته الّتي تؤويه، فيذهب منه رَعْيُ العهودِ الّتي يجب الوفاءُ بها للقبيلةِ. وحسبُك مِن تشويه حالِه أنَّه قد نكَثَ العهود الّتي كانت عليهِ لقَوْمِهِ مِن الدِّفاع عن حقيقتهم بنَفْسِه، وكان يَفْديهِم بنفسِه، والمسلمُ لمّا كان يَرْعى العهدَ بِما يُمليه عليه دينُه؛ جازاه الله تعالى بأنْ دفَع عنه خِزيَ ودادَةِ فِدائِهِ نفسَه بِمواليه وأهلِ عَهْدِه[1].

وذكر الألوسيُّ وجهًا آخرَ في ذلك؛ فقال: "ويجوز عندي أنْ يُراد بالأماناتِ: ما ائتَمَنهم اللّهُ تعالى عليه مِن الأعضاء والقوَى، والمراد برَعْيِها حفظُها عن التَّصرُّف بها على خلاف أمْرِهِ ﷻ. وأن يُراد بالعَهْدِ ما عاهَدَهُم الله تعالى عليه ممّا أمرَهُم به سبحانه بكتابِه وعلى لسانِ رَسولِهِ ﷺ، والمراد برَعْيِه حفظُه عن الإخلال به وذلك بِفِعله على أكمَلِ وجْهٍ؛ فحِفظُ الأماناتِ كالتَّخلية وحفظُ العهد كالتَّحلية، وكأنَّه ﷻ بعد أن ذَكر حِفظَهم لفروجِهم؛ ذَكر حِفظَهم لما يَشملها وغيرَها. ويجوز أن تُعَمَّم الأماناتُ؛ بحيث تَشمل الأموالَ ونحوَها، وجَمْعَها؛ لِما فيها مِن التَّعدُّد المحسوسِ المشاهَد"[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 173.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 214.

نُكْتَةُ تقديمِ الضَّمير في جملةِ الصِّلة ﴿هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾:

المؤمنونَ هُمُ الأُمَناءُ الكُمَّلُ بينَ الأُمَمِ

في تقديم الضَّمير ﴿هُمْ﴾ في جملة الصِّلة ﴿هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ تخصيصُ المُصَلّين بمَنقبةِ رعايَةِ الأمانة واحْترامِ العَهْدِ دونَ سِواهم، وقصرُهما عليهم إشادةٌ بأخلاقهمُ العاليَة، وتعريضٌ بِمَن سِواهُم، وتقريرٌ بأنَّهم هُم الشُّرفاء الأمناءُ؛ فاسْتَأْهَلوا بتلك المناقبِ الثَّناءَ من المَلِكِ ﷻ.

دلالَةُ التَّعبير بمفردتَي الأمانَةِ والعَهْدِ، ولطيفةُ الجَمْعِ بينهما:

كلُّ عباداتِ العَبْدِ ومعاملاتِه أمانَةٌ، والمُؤْمِنُ الكامِلُ مَن يقومُ بحَقِّها ويَرْعاها

الأماناتُ جَمْعُ: أمانةٍ؛ وهي في الأصلِ مصدرٌ، لكن أُريد بها هنا ما ائتُمِن عليه؛ إذ الحِفظ لِلعَيْن لا لِلمعنى[1]، وأماناتُ اللّهِ الّتي ائتَمنَهم عليها من فرائضه، وأماناتُ عبادِه الّتي ائتُمِنوا عليها، وعهودُه الّتي أخذها عليهم بطاعتِه فيما أمَرهم ونهاهم، وعهودُ عبادِهِ الّتي أعطاهُم على ما عقَده لَهُم عَلى نفسِه[2].

والعَهْدُ: كلُّ ما تَقلَّده الإنسانُ مِن قولٍ أو فِعْلٍ أو مَوَدَّة. إذا كانت هذه الأشياءُ على طريق البرِّ؛ فهو عهدٌ ينبغي رَعْيُه وحِفظُه، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: "حُسْنُ العهدِ من الإيمان حُسْنُ العَهْدِ مِنَ الإيمان"[3]، والعهدُ نوعٌ ذو خصوصيَّةٍ من أنواعِ الأمانات، فهو "ما كان من الأماناتِ بِرَبْطٍ بالكلام وتوثيقٍ"[4].

والتَّعبير بمفردة الأَمانة يوجز أنواعَ الأمانات كلَّها؛ مِن عباداتٍ ومعاملات، فالوضوءُ أمانَةٌ، والصَّلاةُ أمانةٌ، والصّيامُ أمانةٌ، وأموالُ النّاس عند المُصَلّين أمانَةٌ، وحقوقُ المستحِقّين في أموالهم أمانَةٌ. وهَكذا يَصْطَفي النَّظْمُ الكريمُ مِنَ المُفْرَداتِ أشْمَلَها دلالَةً وأرْحَبَها حينَ يُرادُ ذَلِكَ.

---

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 214.

(2) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 277.

(3) رواه الحاكم في المستدرك، برقم: (40)، وهو صحيح كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم: (2056).

(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 408.

وجُمعت الأمانةُ دون العَهْدِ؛ لأنَّها متنوِّعةٌ متعدِّدةٌ جدًّا بالنِّسبة إلى كلِّ عَبْدٍ من جِهَتِه تَعالى، ولا يكاد يَخلو عبدٌ مِن ذلكَ، وليسَ العَهْدُ كذلك[1].

دلالَةُ تقديم (أماناتِهِمْ) على (عَهْدِهِمْ)، ونكتةُ جَمْعِ الأوَّل وإفراد الثّاني:

المؤمنُ دائمُ الوفاءِ بعَهْدِه، فلا يفي مرّةً ويَنكُث أخرى

تقديم (أماناتهم) على (عهدهم) مِن تقديم الأعمّ للإحاطةِ، ثُمّ إلحاقه بالأخصّ للخصوصيَّة؛ أي: خصوصيّة إقامةِ الثِّقة بين النّاس من جهةٍ، ودلالته على سُموِّ نَفْسِ المُؤْمِنِ مِنَ الجِهَةِ الأُخْرى، وكأنّ تأخيرَ العَهْدِ خَتْمٌ على الأمانات؛ لأنَّ الوفاءَ بكُلِّ أمانَةٍ ورعايتَها وفاءٌ بعهْدٍ يتعلّق بها ويخصّها.

فإفراد العَهْدِ تذكيرٌ بكلِّ عهدٍ على حدةٍ، وتضييعُ كُلِّ أمانةٍ تضييعٌ لعَهْدِها، فالأماناتُ تتعَدَّد والعهدُ واحِدٌ، فصاحِبُ العَهْدِ الصّادق وصاحبُ العَهْدِ الوافي دائمٌ على المبدأ، لا يفي مرّةً ويَنكُث أخرى؛ ولذلك أُفرد العَهْدُ. أمّا الأماناتُ؛ فجُمِعت للتَّذكير بكثرتها وتنوُّعها.

دلالَةُ الإضافَةِ في ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾، ونكتةُ الجَمْعِ بينَهُما:

بينَ العَهْدِ والأمانَةِ تلازُمٌ في حياةِ المؤْمِنِ

في إضافةِ الأماناتِ والعَهْدِ إلى ضَميرِ المُصَلّين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ إيحاءٌ بأنَّهم أهلُهما الجَديرون بهما، وكأنَّهما يَخُصّانهم دون سواهم، وأنَّ غيرَ المُصَلّين ليسوا بتلكَ المنزلةِ الشَّريفَةِ.

والجَمْعُ بينَ رِعايَةِ الأماناتِ والعَهْدِ جمعٌ بين اللّازم والمَلْزوم؛ لأنَّ رعايةَ الأمانات تستلزِمُ الوفاءَ بالعَهْدِ ورِعايتَه، والوفاءَ بالعهد ورعايتَه يستلزِمانِ الوفاءَ بالأمانات ورعايتَها.

توجيهُ القراءاتِ القرآنيَّة في (أماناتهم):

التَّكامُل الدّلالي للقراءاتِ القُرآنيَّة

قرأ ابن كثير ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ بغير ألفٍ بعدَ النّون على الإفرادِ. وقرأ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 214.

الباقون ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ بالألف بعد النّون على الجمع[1]؛ "لأنَّها تكون متنوِّعة مِن حيثُ هي في الأموالِ وفي الأسرارِ فيما بين العَبْدِ وربِّه فيما أمَرَهُ ونَهاهُ عنهُ، قال الحَسَنُ: الدّين كلُّه أمانَةٌ. وأمّا قراءة ابن كثير بالإفرادِ: ﴿لِأَمَٰنَتِهِمْ﴾[2] فلِقَصْدِ إرادَةِ الجِنْسِ، وفي ذلك تشديدٌ على خُطورَتِها.

دلالَةُ التَّعبير بالرِّعاية في الخبَرِ ﴿رَٰعُونَ﴾، ونُكْتَةُ صَوْغِه اسمَ فاعِلٍ:

حِفظ المؤمنين أماناتِهم ووفاؤُهم بعَهْدِهم مِن أسبابِ ثناءِ الله تعالى عليهم

أصلُ الرَّعْيِ: حِفظ الحيوان؛ إمّا بِغِذائه الحافظِ لِحياته، أو بِذَبِّ العدوّ عنه، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ في الحِفْظِ مُطْلَقًا[3]، والرّاعي هو القائِمُ على الشَّيء بِحفظٍ وإصلاحٍ، كراعي الغنَمِ وراعي الرعيَّة. وراعي الشَّيء: متولّيه وصاحبُه، ويحتَمِلُ العمومَ في كلِّ ما ائتمنوا عليه وعوهدوا مِن جهةِ اللّه تعالى، ومن جهةِ الخَلْقِ، وما حُمِّلوه مِن أمانات النّاس وعهودهم[4].

فمعنى قوله تعالى في صفة المُصَلّين: ﴿هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ أنَّ المؤمنين "حافظون غيرُ خائِنين ولا ناقِضين"[5]، وأنَّهم يَرْقُبون ذلك كُلَّه، ويَحْفَظونه فلا يُضَيِّعونه، ولكنَّهم يُؤَدّونها ويَتَعاهَدونها على ما ألزَمهم اللّهُ، وأوجَب عليهم حفظَها[6]، لا على مراقبة النّاس والخوف من سَطْوَةِ السُّلْطانِ أن يُلْزِمَهُم أو يُعاقِبَهُم.

ففي التَّعبير بالرِّعاية في قوله تعالى: ﴿هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ دلالَةٌ على تعهُّد المؤمنين المُصَلّين كلَّ المطلوباتِ الشَّرعيَّة الّتي ائتُمِنوا عليها والعهدَ الّذي قطعوه على أنفُسِهم للّه تعالى، كما

(1) النيسابوري، المبسوط في القراءات العشر، ص: 446، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 328.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 369.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 214.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 177.
(5) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 539.
(6) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 277.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۛ﴾ [الأعراف: 172] أو قطعوه على أنفسهم لأحدٍ من خلق الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: 1] فعن ابن عَبّاسٍ ﷺ أنَّه قال: "هي العهود"[1]، وكأنَّ الأماناتِ والعهدَ كائنان متمايزان، يُرْعَيان، ويُتعَهَّدان بالإصلاح.

بلاغَةُ الاستعارَةِ في رَعْيِ الأماناتِ والعَهْدِ:

إخْراجُ المَعْقولاتِ في صورَةِ المَحْسوساتِ أعلَقُ بالذِّهْنِ وأبلَغُ في الفَهْمِ

في إيقاع الرَّعْي على الأماناتِ والعهد استعارَةٌ مكنيَّة؛ وذلك بتشبيهِ الأماناتِ والعَهْدِ بالحيوان الّذي يقومُ على شأنه مَن يرعونَه؛ فيُحافِظون عليهِ مِنَ الضَّياع، ويقومون على حراسَتِه مِن أسباب التَّلف أو الهُزال، بل ويَعْمَلونَ على تَنْميَتِه وتعظيمِه.

وفي هذه الاستعارَةِ مُبالغةٌ في تَعهُّد المؤمنين أماناتِهم وعهدَهم؛ حتّى يُؤَدّوه على الوجه الأكمَلِ، الّذي يُسَنِّمهُم رُتبة الثَّناء الإلهيِّ الجميل.

مُناسبَةُ ذِكْرِ الشَّهادة في السّياق:

تأديَةُ الشَّهادة على وجْهِها أمانَةٌ؛ ومؤدّيها أهلٌ للثَّناء

مناسبة ذِكر الشَّهادات هنا في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَتِهِمۡ قَآئِمُونَ﴾ هوَ ذِكرُ رَعْيِ الأمانات قبلَها؛ إذِ الشَّهادة مِن جملة الأمانات؛ لأنَّ حقّ المشهود له وديعةٌ في حِفظ الشّاهد، فإذا أدَّى شهادتَه فكأنَّه أدّى أمانةً لصاحِبِ الحقِّ المشهود له كانَت في حِفْظِ الشّاهد؛ ولذلك كانَ أداءُ الشَّهادة إذا طولِب به الشّاهدُ واجبًا عليهِ، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ﴾ [البقرة: 282][2].

ملازمَةُ المُؤْمِنِ القيامَ بالشَّهادات على وجْهِها دون تهيُّبٍ لتَبِعاتِ ذلكَ

دلالَةُ التَّعبير بالصّلة ﴿هُم بِشَهَـٰدَتِهِمۡ قَآئِمُونَ﴾ جملةً اسميَّة:

في صَوْغ جملةِ الصِّلة ﴿هُم بِشَهَـٰدَتِهِمۡ قَآئِمُونَ﴾ دلالةٌ على ثباتِ حالِ المُصَلّينَ على مبدأ القيامِ بالشَّهادات كما يَنْبَغي، فلا يَزيغونَ

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 3/ 436.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 174.

عَن شيءٍ مِنْها، ولا يأخذونَ في اعْتِبارِهِم خواطِرَ ولا مصالح. ومِن دواعي الاسميّة كذلك "أنّ أداءَ الشَّهادة يَشُقّ على النّاس؛ إذْ قد يكون المشهودُ عليه قريبًا أو صديقًا، وقد تُثير الشَّهادة على المرء إحنَةً منهُ وعداوةً"[1]، بل قد تَجرُّ على المسلم مصائِبَ في الدّنيا ظاهرًا، ومع ذلك يَسْتَعْصِمُ العبدُ المؤمنُ باللّهِ تعالى ويُؤَدّيها على وجْهِها.

نُكْتَةُ تَقْديمِ الضَّمير في الصِّلة ﴿هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾:

في بناء جُمْلَةِ الصِّلة ﴿هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ على تقديم الضَّمير ﴿هُم﴾ دلالةٌ على أنَّ القيام بحقِّ الشَّهادة مِن خصوصيّات المُسْلِمين أهلِ الصَّلاة، وأنَّ سواهُم - غالبًا - مُجَرَّدون من تلك الفضيلَةِ. فتقديمُ الضَّمير يفيد القصر، ويُشيد بأخلاق المُصَلّين في هذا الجانِبِ، كما أنّهم خلاصةُ خلاصةِ الأمم في الجوانبِ الأخرى.

القيامُ بحَقِّ الشَّهادة مِن خصوصيّات المُؤمنينَ الكُمَّلِ

نُكْتَةُ تقديمِ القَيْدِ ﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾ على الخبَرِ ﴿قَآئِمُونَ﴾:

في تقديم القيد ﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾ على الخبر ﴿قَآئِمُونَ﴾ تنبيهٌ إلى خُطورة الشَّهادات، وعنايةِ المصلّين بها، وعدم غَفْلَتِهِم عَن حقِّها، وتقْديمِهم أمرَها، و"أنَّهم في فَرْطِ قيامِهِم بِها، ومراعاتِهِم لَها كأنَّهم لا شاغِلَ لَهُم سواها"[2].

المؤمنون يولون الشَّهاداتِ عنايةً خاصّة

معنى (الباء) في قوله: ﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمْ﴾:

(الباء) في قوله تعالى: ﴿هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ لها معنى المُصاحبَةِ؛ وأنَّ المصلّين مُسْتَصْحبونَ مبدأ الشَّهادة الصّادقة على وجهِ الدّوام، فلا يَتَخَلَّون عنهُ مطلقًا، ولا يُفارِقُهُم هو أبدًا، وأنّ المُصَلّين يقومون مُصاحِبين للشَّهادة، ويصيرُ معنى الباءِ في الاستعارة معنى التَّعدية؛ فذِكْرُ القيامِ بالشَّهادة إتمامٌ لِخِصالِ أهلِ الإسلام، فلا يتطَلَّب له مقابِلٌ مِن خِصال أهلِ الشِّرك المذكورة فيما تقدَّم[3].

المؤمنُ مُستَصْحِبٌ صِدقَ الشَّهادة على وجهِ الدّوامِ، مستعينٌ على قيامِ حياتِه وضَبْطِها بذلكَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 174.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 408.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 174.

وفي (الباء) أيضًا رائحَةُ الاستعانَةِ، وكأنَّ المصلّين يَسْتَعينونَ عَلى قيامِ حَياتِهِم وضَبْطِها بِصِدْقِ شَهاداتِهِم.

دلالَةُ التَّعبير بـ (شَهاداتِهِمْ)، ولطيفةُ تَخْصيصِها بالذِّكر بعدَ عُمومِها في (أماناتِهِمْ):

بـالـشَّـهـادات الصّادقة تَنْضَبِطُ الحُقوق، ويتَّزِن المجتمَعُ، ويُبنَى عـلى النَّـصـفـة والحقِّ

المقصودُ بشَهادات المُصَلّين شهادتُهم على أنْبيائِهِم بالبَلاغ، وعلى أُمَمِهِم بالقَبول أو الامتناعِ، وشهاداتُهُم في حِفْظِ الحُقوق بالدُّخول فيها عندَ التَّحمُّل، والقيامِ بها عند الأداء. وأنَّهم إذا شاهدوا أمرًا أقاموا الحقَّ للّه تعالى فيه مِن مَعْروفٍ يَفْعَلونَهُ ويأمُرون به، ومنكَرٍ يَجْتَنِبونَهُ ويَنْهَوْنَ عنه[1].

وفي النَّصّ على (شَهاداتِهِم) بعد دُخولِها في عُمومِ (أماناتهم) تنويهٌ بخصوصيَّة الشَّهادات، وأثرِها المُتَمَيِّز في استقامةِ الحياة، وضبْطِ الحُقوق، واتِّزان المجتمع، وقيامِه على النُّصفة والحقِّ بلا انحرافِ المجاملاتِ ومُراعاةِ الاعتبارات المختَلِفَةِ.

والشَّهادةُ من جملة الأمانات؛ ففي تخصيصِها إبانةٌ لِفضلها؛ لأنَّ في إقامتِها إحياءَ الحقوقِ وتصحيحَها، وفي زَيْفِها تضييعَها وإبْطالَها[2].

دلالَةُ التَّعبير بالقيامِ، ونُكْتَةُ صَوْغِه اسمَ فاعِلٍ في الخبَرِ ﴿قَآئِمُونَ﴾:

لأداءِ الشَّهادات عـلى وجْـهِـهـا الأكـمـلِ أثَـرٌ قـويٌّ في تقويمِ انْـحِـرافـاتِ النُّفوس

في التَّعبير بالقيام في قوله تعالى: ﴿قَآئِمُونَ﴾ دلالةٌ على وعْي المُصَلّين بدَوْر الشَّهادات الصّادقة الموفَّقة في بناءِ الحَياة، وتقويمِ اخْتلالاتِها المُتَرَتِّبة على انْحِرافاتِ بعضِ النُّفوس، ولأهمّيَّة الشَّهادة أكثَرَ العلماءُ مِن تبيينِ صوَرِها.

ومعنى قيامِ المُصَلّين بها أنَّهم يتحمَّلونها، ويؤدّونها على غاية التَّمام والحُسن، أداءَ مَن هو متهيِّئٌ لها، واقفٌ في انتظارِها[3]،

(1) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 95.
(2) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 16/ 24.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 409.

أحبّوا أو كَرِهوا، ضرَّهم ذلك أو نَفَعَهُم[1]، وأنَّهم يقيمونها عندَ الحُكّام بلا مَيْلٍ إلى قريبٍ وشريف، أو ترجيحٍ للقويِّ على الضَّعيف؛ إظهارًا للصَّلابة في الدّين، ورغبةً في إحياء حقوقِ المُسْلِمينَ[2].

وأنَّهم لا يَشْهَدونَ إلّا بما يَعْلَمونَهُ، مِن غير زيادَةٍ ولا نَقْصٍ ولا كِتْمانٍ، ولا يُحابي فيها قريبًا ولا صديقًا ونحوَه، ويكون القَصْدُ بها وجهَ اللّه[3]؛ وذلك عملًا بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرّحمن: 9]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطّلاق: 2]، كما أنَّ "القيام بها يشمَل الاهتمام بشأنِها، وحفظَها إلى أنْ يُؤدّيَها صاحِبُها على الوَجْهِ الّذي يُحِبُّه سُبْحانَهُ"[4].

بلاغة الاستعارة في قوله: ﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾:

تحفُّزُ المؤمنين بكُلّيّتهم لأداء الشَّهادة؛ خوفًا مِن ضياع الحقوقِ وتَحمُّل التَّبِعات

في التَّعبير عن أداءِ المُصَلّين شهاداتِهم بالقيام استعارةٌ تبعيَّةٌ في اسم الفاعلِ ﴿قَآئِمُونَ﴾؛ أي: أنَّهم مؤدّون إيّاها، وأنّهم "لا يَكْتُمون ما استُشْهِدوا عليه، ولكنَّهم يَقومون بأدائِها حيثُ يَلْزَمُهم أداؤُها، غيرَ مُغَيَّرةٍ ولا مُبَدَّلةٍ"[5]، ويحفظون ما يَشهدون فيه، ويَتَيَقَّنونَه، ويقومون بمعانيه؛ حتّى لا يكون لَهُم فيه تَقْصيرٌ. وإذا كانَت عِنْدَهُم شهادَةٌ ورَأَوْا حقًّا يُدْرَس أو حُرمةً للّه تعالى تُنتَهك؛ قاموا بشهادتهم، وقال ابنُ عبّاس ﷺ: شهادَتُهم في هذه الآيةِ: (لا إله إلا اللّه وحدهُ لا شريك له)[6].

وهذه الاستعارةُ تفيدُ المبالغةَ في اهتمام المؤمنينَ بأداءِ الشَّهادات، وكأنَّهم واقفون على أقدامِهم، متحفِّزون بكُلّيَّتهم لأدائها؛ خوفًا مِنَ التَّقصير فيها؛ فتَضيع حُقوقٌ، ويتحمَّلون تبِعات الظُّلم المترتِّب على ذلك.

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 210.
(2) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 539.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 887.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 102.
(5) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 277.
(6) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 369.

توجيهُ القِراءات القرآنيَّة في قوله: ﴿بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ﴾:

قرأ حفصٌ عن عاصمٍ ويعقوبُ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ﴾ بالألف بعدَ الدّال على الجمعِ؛ تعميمًا لأصنافِ الشَّهاداتِ. وقرأ الباقون ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَتِهِمۡ﴾ بغير ألفٍ بعدَ الدّال، على الإفرادِ[1]؛ تأكيدًا على خطورة جِنْسِ الشَّهادة أيًّا كان المشهودُ به أوْ لَهُ أوْ عليه.

جِنْسُ الشَّهادة خطيرُ التَّبِعة، أيًّا كان المشهودُ به أو لَهُ أو عليهِ

دِلالَةُ التَّعبير بالصّلة ﴿هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ جملةً اسميَّةً:

في صَوْغِ جُمْلَةِ الصِّلة اسميَّةً في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ إشادَةٌ بتَرَسُّخ فريضةِ الصَّلاة في حياةِ المُصَلّين، واسْتِمْرارِهم على أدائِها في أوقاتِها وبِشَرائِطِها، وتقديرهم لدَوْرِها في إقامَةِ الدّين في النُّفوس؛ بحيث يَنضَح سلوكًا قويمًا على حياتهم؛ ذلك لأنَّها الأساسُ الّذي إذا صَلَحَ؛ صلحَ دينُ المرءِ كُلُّه، وصلَحَ عملُه كلُّه، وإذا فسدَتَ؛ فسدَ كلُّه، وأنَّها مبدأُ الدّين ومنتهاه؛ ولذلك بها بَدَأتِ الإشادَةُ بصفات المُصَلّين، وبها خُتمتْ، وكأنَّها الحصنُ الأوَّل والأخير، الّذي لا يُؤْتَى المؤمنُ من قِبَلِه أبدًا.

دوامُ المُؤْمِنين على الصَّلاةِ أداءً وحِفْظًا ورِعايَةً

دلالةُ التَّعبير بضميرِ الفصلِ، ونُكتَةُ تَقْديمِه في قوله: ﴿هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾:

في التَّعبير بضمير الفصْلِ ﴿هُمۡ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ قصرٌ حقيقيٌّ تحقيقيٌّ؛ إذ لا يُحافِظُ على الصَّلوات المفروضاتِ غيرُهم؛ فكان ذلك سبَبَ الإشادةِ بهم أوَّلًا وآخرًا، وتَأهُّلَهُم لذلكَ الثَّناء الرّبّانيِّ الكريم، والمدح الإلهيّ السّامي الشَّريف.

النَّظْمُ القرآنيُّ يَشْهَدُ للمُؤْمِنين بالتَّفرُّد بالمُحافظَةِ عَلى صَلاتِهِم

وفي تقديم الضَّمير ﴿هُمۡ﴾ على المسنَدِ الفِعْليِّ ﴿يُحَافِظُونَ﴾ في جملة الصِّلة ﴿هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ تأكيدٌ لمضمونِ الجملةِ؛ إذ تكرَّر الإسنادُ مرَّتينِ تعظيمًا له وتفخيمًا، ووجْهُ تَكرارِهِ أنَّ فعل

(1) النيسابوري، المبسوط في القراءات العشر، ص: 446، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 391.

المحافظَةِ أُسنِدَ إلى الاسم الموصول (الّذين)، وأُسنِدَ إلى واو الجماعَةِ في ﴿يُحَافِظُونَ﴾.

معنى ﴿عَلَىٰ﴾ في جملة ﴿هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾:

﴿عَلَىٰ﴾ في قوله: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ للاستعلاء المجازيِّ؛ إذِ الصَّلاة تَعْلو وترتَفِعُ إلى السَّماء، ويلزَمُ مِنْ ذلك علوّ رُتبة المُصَلّين بصَلاتِهم، وأنَّ صَلاتَهُم مِعْراجٌ يَرقى بأرواحِهم في مدارجِ الكمالِ، ويَسمو بها في معارجِ الرِّضوان.

الصَّلاة معراجٌ يَرْقى بالرّوح في مدارجِ الكمالِ، ويَسْمو بِها في معارجِ الرِّضوانِ

ولَمّا كان فِعْلُ الحِفْظِ يتعدّى بـ (على) باعتبارِ تضمُّنه معنى الإمساكِ والقَصْر؛ فإنّ كُلًّا مِنْهُما يتعَدّى بـ (على)، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: 37]، فلولا اعتبارُ التَّضمين ما عُدّي فِعْلُ الحِفْظِ بـ ﴿عَلَىٰ﴾، فكَوْنُ اعتبارِ كَلِمَة ﴿عَلَىٰ﴾ صلةَ ﴿يُحَافِظُونَ﴾ يتوقَّف على اعتبارِ التَّضمين[1].

نُكْتَةُ تقديمِ القَيْدِ ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ على الخبَرِ ﴿يُحَافِظُونَ﴾:

ممّا يُسْهِم في بيان مكانَةِ الصَّلاة في الإسلام في هذا التَّركيب تقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ على الخبَرِ ﴿يُحَافِظُونَ﴾؛ لِما فيهِ مِنَ تأكيدٍ وتقريرٍ لِعنايَةِ المُصَلّين بصَلاتِهم، وكأنَّها الجهَةُ الوحيدَةُ لِمَحَطِّ عنايتهم ومحافظتهم، وكأنَّهم يَخْتَصّونها بالحِفْظِ دونَ سِواها مِنَ المأموراتِ على كَثْرَتِها، وعلى عنايَتِهم بِها أيضًا.

شِدَّةُ عنايةِ المُسلمين بصلاتِهِمْ

نُكْتَةُ تَكْريرِ الصّلاة، وبراعَةُ التَّكامُلِ بينَ الخبَرَيْنِ ﴿دَآئِمُونَ﴾، و﴿يُحَافِظُونَ﴾:

كُرِّر ذِكْرُ الصَّلاة في سياقِ الثَّناء على المُصَلّين لاختلافِ ما وصَفَهم به أوَّلًا وما وصفهم به ثانيًا؛ فإنَّ معنى (الدّوام) هو ألّا يَشْتَغِلَ عنها بشَيْءٍ مِن الشَّواغل، ومعنى (المحافظة) أن يُراعيَ

التَّنويهُ بالصَّلاة بدءًا وختامًا يَجعل الفضائلَ الّتي بينَها في ضمانِها

(1) شيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 6/ 147.

الأمورَ الّتي لا تكون صلاةٌ بدونِها[1]. وفي تكرير ذِكْرِ (الصَّلاة) أيضًا "دلالةٌ على فَضْلِها، وإنافَتِها على سائرِ الطّاعات"[2].

و"التَّنويه بالصَّلاة بدْءًا وختامًا يَجْعَلُ هذه الفَضائل - الّتي بين أداءِ الصَّلاة، والصِّفة التي تُؤدّى عليها - في ضمانِ هذا الحارسِ القَويِّ الأمين؛ وهو الصَّلاة، فإذا لم يَكُن بينَ يَدَيْ هذه الفضائلِ صلاةٌ، وإذا لَم يكُن خلفَها صلاةٌ؛ جاءت هذه الفضائلُ في صورةٍ باهتَةٍ هزيلَةٍ، لا تَلْبَثُ أن تَجِفَّ وتَموت، ولا يَبقى لها في كيان الإنسانِ داعٍ يَدعو إليها، أو هاتفٌ يَهتِف بها"[3].

وبِخَتْم صفات المُصَلّين وأحوالهم بِذِكْرِ الصَّلاة، والإشادة بالمحافظين عليها؛ يتحقَّق للنَّظم الكريم ردُّ عَجُزِ تلك الشَّمائل على صَدْرِها، فتَواثَقَتْ عُراها، وتكاملت مزايا أهلِها - المُصَلّين - بتحقيق فَضيلَتَي الدَّوام على الصّلاةِ في الصَّدر، والمحافظة عليها في العَجُز، وفي ذلك أيضًا إيحاءٌ بـ "أنَّ أداء الصَّلاة مطلوبٌ على أيِّ حال، لا يقوم للمُؤْمِن عذرٌ أبدًا يُحِلُّه من أدائها في أوقاتها، و"يدلُّ على شَرَفِها وعُلوِّ قَدْرِها، واهْتِمام الشّارع بشَأْنِها"[4].

أمّا أداؤُها على تلك الصِّفة الخاصَّة مِنَ الخُشوع، والخُضوع، والرَّهبة، والجلال؛ فهو أداءٌ للأمانة، وأنَّه لا تبرأ ذمَّةُ الإنسان منها إلّا بأدائها على تلك الصِّفة، فإذا لم يُؤَدِّها على تلك الصِّفة، فهي لا تزالُ أمانَةً في يده، ومطلوبٌ منهُ أن يُؤَدّيَها على وجهها، أمّا إذا لم يؤدّ الصَّلاة أصلًا؛ فهو مضيِّعٌ لتلك الأمانة، مُحاسَبٌ عليها حسابَ المُضيّعين للأمانات[5].

دلالَةُ التَّعبير بالمُحافَظَةِ، ونُكْتَةُ العُدولِ إلى المُضارعَةِ في الفِعْلِ ﴿يُحَافِظُونَ﴾:

معنى ﴿يُحَافِظُونَ﴾ يواظبون عليها ويُؤَدّونها في أوقاتها[6]، ويَتَحَرّوْنَ مواقيتَ صلاتِهم الّتي فرضَها اللّهُ عليهم، وحدودَها الّتي أوجبَها عليهم، ولا يُضَيِّعون لها ميقاتًا ولا حدًّا[7]،

(1) القِنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 14/ 320.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 9/ 34.
(3) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 15/ 1186.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 103.
(5) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 15/ 1185.
(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 125.
(7) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 277.

فإنَّهم كُلَّما تعَهَّدوا أوقاتَ الصَّلاة لأدائها، وتعهَّدوا الطَّهارة لِكُلٍّ مِنْها؛ تعهَّدتْهم هي بالحِفْظِ والطُّمأنينةِ القلبيَّةِ، وكُلَّما جدَّدوها جدَّدَتْهُم؛ وذلك بعضُ عطاء المضارعَةِ والتَّحوُّلِ إلى الفعليَّةِ هنا دون الصِّلات السّوابق.

كُلّما تعهَّد المؤمنونَ الصَّلاة بالأداءِ؛ تَعهّدتْهُم بالطُّمأنينة القلبيَّةِ، وكُلَّما جَدَّدوها جَدَّدَتْهُم

وكذلك في التَّحوُّل إلى صيغَةِ الفِعْليَّة والتَّعبير بالمضارَعَةِ في الخبَر ﴿يُحَافِظُونَ﴾ "تقويةٌ للخبَر مع إفادَةِ التَّجدُّد من الفِعْلِ المُضارع"[1]، ودلالة على عدَم التَّهاون بها؛ وبذلك يُعلَم أنَّ هذه الجُمْلَةَ ليستْ مُجَرَّد تأكيدٍ لجُمْلَةِ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾، بل فيها زيادةُ معنًى مع حصولِ الغرَضِ مِنَ التَّأكيد بإعادةِ ما يُفيد عِنايَتَهُم بالصَّلاة في كِلْتا الجُمْلَتَيْنِ[2].

وفي التَّحوُّل إلى صيغة الفعلِ في ﴿يُحَافِظُونَ﴾ أيضًا اتِّساقٌ مع ما في الصَّلاة من التَّجدُّد والتَّكرُّر، وهو السِّرّ في جَمْعِها – في سورة المؤمنون –، وليس فيهِ تكريرٌ لِما هو معلومٌ مِنْ أنَّ الخُشوعَ في الصَّلاة غيرُ المُحافَظَة عليها، وفصْلُهُما للإيذانِ بِأنَّ كُلًّا مِنْهُما فضيلةٌ مستقلَّة برأسِها[3].

دلالة صيغة المُفَاعَلَة في الفِعْلِ ﴿يُحَافِظُونَ﴾:

صيغةُ المُفاعلَةِ في الفِعْلِ ﴿يُحَافِظُونَ﴾ دالَّةٌ على المبالغة "في الحفظ، مثل: عافاهُ اللّه، وقاتلَهُ اللّه، فالمُحافظَةُ راجِعَةٌ إلى اسْتِكْمالِ أركانِ الصَّلاة وشُروطِها وأوقاتِها"[4]؛ فمعنى ﴿يُحَافِظُونَ﴾: يُبالغون في حِفظها، وكأنَّهم يُبادِرونَها الحفظَ، ويُسابِقونَها فيه فيَحْفَظونَها فتَحفظُهم، أو يسابقونَ غيرَهم في حِفْظِها لأوقاتها وشروطها وأركانها ومُتَمِّماتها في ظواهرها وبواطنها من الخضوع والمراقبة،

المؤمنون في مُحافَظَتِهم على الصَّلاة كمَنْ يُسابق غيرَهُ على غايَةٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 175.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 174.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 6/ 125.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 174.

وغير ذلك من خلال مرتبة الإحسان، الّتي إذا فعلوها كانت ولا بُدّ ناهيةً لِفاعلها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: 45]؛ فتَحمل على جميع هذه الأوامر، وتُبعِد عن أضدادِها[1].

توجيهُ المُتشابِهِ اللَّفظيِّ في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾:

المُتشابِهُ اللَّفْظيُّ في القرآن الكريم يَفي بحَقِّ السّياقاتِ المُخْتَلِفَةِ

قولُ اللّهِ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ يَتشابَهُ معَ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: 9]، والاختلافُ الوحيدُ بينَهُما يَتَمَثَّل في إفرادِ لفظ ﴿صَلَاتِهِمۡ﴾ في المعارج، وجَمْعِها - ﴿صَلَوَٰتِهِمۡ﴾ [المؤمنون: 9] - في سورة المؤمنون؛ وذلك أنَّه لمّا كان السّياق هنا للتَّخلّي عن الأوصاف الجارَّةِ إلى الكُفر؛ وحَّدَ الصّلاة؛ إشارةً إلى أنه يَكفي في ذلك الفرائضُ، وفي سورة المؤمنون كانَ السّياق لأهل الرُّسوخ في المحاسن؛ فلذلك جمَعَ بينَ النَّوعين: الإفرادِ في الأوَّل ليَنْصَبّ ابتداءً إلى الفرائض، والجمعِ في بعض القراءات؛ ليُفهم معَ ذلك النَّوافل بأنواعها[2].

لطيفَةُ تَكْريرِ المَوصولاتِ في تلك الصِّفات:

كلُّ صفةٍ مِن صفاتِ المؤمنين فَضيلةٌ عظيمَةٌ على وجهِ الاستقلالِ

تكريرُ الموصولاتِ في ذِكْرِ فَضائل المُصَلّين مفيدٌ تنزيلَ اخْتِلافِ الصِّفاتِ منزلة اختلاف الذّوات، كما في قول الشّاعِر[3]:

إلى الملك القرم وابن الهمام *** وليث الكتيبَةِ في المزدحم

إيذانًا بأنَّ كلَّ واحد من الأوصاف المذكورة نعتٌ جليل على وجهِ الاستقلالِ، لَهُ شأنٌ خطير مستتبع لأحكام جَمَّةٍ، حقيقٌ بأنْ يُفرَد له موصوفٌ مستقلٌّ، ولا يُجعل شيءٌ منها تَتِمَّةً للآخر[4].

وممّا ينبغي الالتفاتُ إليه في تلك الصِّفات والتّعلُّقات الّتي

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 409.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 409.
(3) هو بلا نسبة في الكشاف للزمخشري: 1/ 41، وكذا عند ابن الأنباري في الإنصاف: 2/ 384، والبغدادي في خزانة الأدب: 1/ 451.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 9/ 34.

طالت وتفرَّعت وتنَوَّعت مِنْ قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أنَّها كُلَّها جاءت أوصافًا وأحوالًا للمُصَلّين ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾، إلى أنْ قال تعالى هنا: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، وذلك دالٌّ على عظيم قَدْرِ الصَّلاة في الدّين، وجليل أثَرِها في المُسْلِمين، ظاهريًّا بالطَّهارة والنَّظافة والجَمال والبهاء والوضاءة، وباطنيًّا بالإخلاص والمراقبة والصِّلة الدّائمة بالخالِق العَظيم ﷻ.

علَّةُ فَصْلِ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ عمّا قبلَهُ:

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ عن آخرِ صِفَةٍ من صفاتِ المُصَلّين؛ وهي قولهُ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾؛ لِما بينَهُما من شبه كمال الاتِّصال، وذلك لأنَّ ما تقدَّم من الأوصاف يبعَثُ في نفس المتلقّي سؤالًا؛ حاصلُهُ: بعد اتِّصافِ هؤلاء بهذه الخِلالِ العظيمةِ، ما جزاؤُهُم؟ فجاء الجوابُ في قول اللّه سُبحانَهُ سُبحانَهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾، فهذه الجملةُ واردةٌ لبيانِ ثمرةِ ما تقدَّمَ من الأوصافِ.

التَّراكيبُ القُرآنيَّةُ وثيقةُ الاتِّصال، إمّا لفظيًّا وإمّا مَعْنَويًّا

دلالة التَّعبير باسم الإشارة الدّالِّ على البُعْدِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

مِن أوجُه بلاغة النَّظم الشَّريف في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ إيجازُ تلك الصِّفات والأحوال في اسم الإشارة الدّالِّ على البُعْدِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، واستدعاءُ ذِكْرِهم بكلِّ ما سبَق مِن صفاتهم وأحوالهم وتَعلُّقات أخبارهم في لفظٍ وجيزٍ؛ لِرَبْطِهِم باستحقاقهم المكافأةَ الكريمة في متعلّق الخبر ﴿فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾، مع ما فيهِ مِن تصرُّف تركيبيٍّ معبّر.

للمُصَلّين شأنٌ عالٍ ومنزلةٌ بعيدَةٌ في الفَضْلِ؛ لِما اتَّصفوا به من شمائِلَ

فـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الّذين هُم في غاية العلوِّ؛ لِما لَهُم مِنَ هذه الأوصاف العالية[1] في جنّاتٍ مُكْرَمون. والإشارة بأداةِ البُعد –

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 410.

مع قُرب العَهْدِ بالمُشار إليهم - إيذانٌ بِعُلوِّ شأنهم وبُعْد منزلتهم في الفضل[1]، وفيها كذلك "تنبيهٌ على أنَّهم استحقّوا ما بعدَ اسْمِ الإشارةِ مِن أجل ما سَبق قبلَهُ[2].

دلالةُ ﴿فِي﴾ في قوله: ﴿فِي جَنَّتٍ﴾:

دلالاتُ المُفْرَدات القرآنيَّة تتآزَرُ على إفادةِ المَعْنى وتحقيقِ الغَرَضِ

﴿فِي﴾ من قول الله تعالى: ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ ظرفيَّة، تتَّسق ظرفيَّتها مع دلالةِ مُفرَدَة ﴿جَنَّتٍ﴾؛ إذ الجَنّات تَجُنُّ مَن فيها وتُغَطّيه حتّى يصيرَ كأنَّه مظروفٌ داخلَ ظرفٍ يشتَمِلُ عليه ويستُرُه؛ فتَتلاقى دلالةُ الظَّرفيَّة في حرف الجرِّ ﴿فِي﴾ مع دلالةِ المُفْرَدَةِ في مجرورها ﴿جَنَّتٍ﴾.

وفي حرف الجرِّ ﴿فِي﴾ إيحاءٌ بأنَّهم في مكمَن الأمانِ، وفي ركنِ الحَصانة؛ ووراءَ ذلكَ كنايَةٌ عن الرِّضوان الإلهيِّ، وأكرِم به من رضوانٍ!.

و﴿فِي﴾ تُصَوِّر الجنّات في صورة ظرفٍ يشتَمِلُ على المُصَلّين ويَصونُهُم، وهُم يتَقَلَّبون في تلك الجنّات، ويتَنَزَّهون بين أشجارِها، ويَقْطِفون مِن داني ثمارِها، ويَنْزِلون في غُرُفاتِها، وقد صارت لهم كالظَّرف المحيط بمظروفِهِ الّذي يصونُه ويَحْفَظُه، ويؤذِن بكونه شيئًا ثمينًا ممّا يُضَنّ به فيُحفَظ ويُصان.

دلالَةُ تَقْديمِ القيدِ ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ على الخبَرِ ﴿مُّكْرَمُونَ﴾:

بشائِرُ المُصَلّين وكراماتُهم تتَسابَقُ إليهم، وتتكاثَرُ عَلَيْهِم

لِعَظيم إكرام الله تعالى أولئك المُصَلّين الّذين تعدّدت فضائِلُهم وتَنَوَّعت عِباداتُهُم؛ قَدَّم النَّظْمُ الكريمُ الخبَرَ الأوَّل، أو الجارَّ والمجرورَ في جنّاتٍ على الخبَرِ الثّاني ﴿مُّكْرَمُونَ﴾، تعجيلًا ببشارة الحُكم لهم بالجنّات قبل البِشارَةِ لَهُم بالإكرام. وبذلك تتضاعف لهم البِشاراتُ، وتتعاظَمُ عليهِم الكَراماتُ، وتَسْعَدُ قلوبُهم بأنَّ مستقرَّهم في الجنّات، وما أدراك ما في هذه الجنّاتِ!.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 9/ 34.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 175.

جنّات المُصَلّين بساتينُ يَعْجَزُ عـن وصْـفِـهـا الواصفونَ

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿جَنَّتٍ﴾:

الجنّاتُ: "بساتينُ فيها عيونٌ جارية، لا يَبلغ وصفَها الواصفون"[1]، وفي اصطفاء مفردة ﴿جَنَّتٍ﴾ دون (حدائق) أو (بساتين) وغيرهما تنويهٌ بكثافة خُضرتها، وكثرة ثِمارها، وشَرافة أشجارها؛ حتّى إنَّها لَتَجُنُّ مَن يَدْخُلُها وتُخفيه؛ و"لا تسمى جَنَّة حَتَّى يُجِنَّها الشّجرُ، أي: يَسْتُرها هَكذا"[2].

وإذا كان "خَلَقَ اللّهُ آدَمَ وطولُهُ سِتّونَ ذِراعًا فكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صورَةِ آدَمَ ﷺ"[3]، وكانت تلك الجنّاتُ تَجُنُّه وتُخفيه؛ فكم يكون ارتفاعُ أشجارِها، وكثافة خُضرتها، وعلوِّ قصورها؟ إنَّ ذلك لا يُقادِر قدرَه البشرُ في الدّنيا، فكان ذلك كنايةً عمّا هنالك من وفرة أسباب النَّعيم، وصنوف التَّكريم.

ويُتَمِّم عِظَمَ أوصافها ما ورد في القرآن الكريم والسُّنَّة الشَّريفة مِن أوصاف خُضرتها، وعذوبة عيونها، وجمالِ حورِها، وما إلى ذلك ممّا لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سَمِعَتْ ولا خطر على قلب بشَرٍ.

وقد أَلْمَحَ البقاعيُّ إلى أنَّ الجنّاتِ في الآيةِ؛ يَحْتَمِلُ أن تكون "في الدُّنيا والآخرة، أمّا في الآخرة فواضِحٌ، وأمّا في الدُّنيا فلأنَّهم لمّا جاهدوا فيه بإتعابِ أنفُسِهم في هذه الأوصاف حتّى تخلَّقوا بها؛ أعطاهم بمباشَرَتها لَذاذاتٍ مِن أُنْس القُرب، وحلاوة المناجاة لا يساويها شيء أصلًا.

والجنَّة محلٌّ اجتمعَ فيه جميعُ الرّاحات والمستلَذّات والسّرور، وانتفَى عنه جميع المكروهات والشّرور، وزادهم على ذلك بقوله: ﴿مُّكْرَمُونَ﴾"[4].

(1) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 100.
(2) ابن دريد، جمهرة اللغة: (جنن).
(3) رواه البخاري في صحيحه، برقم: (3326)، ومسلم في صحيحه، برقم: (2841).
(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 410.

لطيفةُ جَمْعِ ﴿جَنَّٰتِ﴾:

جنّاتُ المصلّين عديدة؛ وارفةُ الظِّلال، مُنَوّعة الثِّمار

قال الرّازي: "الجنَّةُ تارةً تأتي في القرآن الكريم مفردةً، وأُخرى جمعًا، وتارة مثنّاة. أمّا الجنَّة عند التَّوحيد؛ فلِأنَّها لاتِّصال المنازل والأشجار والأنهار كجنَّةٍ واحدة. وأمّا حِكمةُ الجمع؛ فلأنَّها بالنِّسبة إلى الدُّنيا وبالإضافة إلى جِنانها جناتٌ لا يَحصرها عدَدٌ. وعند الوَعدِ وحَّد الجنَّة، وكذلك عند الشِّراء حيث قال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التّوبة: 111]، وعند الإعطاءِ جَمَعَها؛ إشارةً إلى أنَّ الزّيادة في الوعدِ موجودةٌ[1]، و"لاشتمالِها عَلى ما تلتذُّ به الرّوح والجِسْمُ كأنَّها جنَّتان، فالكلُّ عائدٌ إلى صِفَةِ مدحٍ"[2]، وفي التَّثنية تأكيدٌ كقولِه تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ [ق: 24]"[3].

والجمعُ على ﴿جَنَّتِ﴾ أيضًا يدعَمُ دلالةَ الكثرة ويُقَرِّرها، وينبِّه على تَنوُّع متاعها ونعيمها، فإنَّ الشَّجرة الواحدة، بل الثّمرة الواحدة فيها تتنَوَّع ألوانُها وتتعدّد طعومُها.

وقد جاء أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله، أسْمَعُكَ تَذكر شجرةً في الجنَّة لا أعلم في الدُّنيا شجرةً أكثر شوكًا منها - يعني الطَّلْح - ! فقال رسولُ الله ﷺ: "فَإِنَّ اللّٰه يَجْعَلُ مَكانَ كُلِّ شَوْكَةٍ مِثْلَ خِصْيَةِ التَّيْسِ المَلْبودِ - يَعْني المَخْصيَّ -، فيها سَبْعونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعامِ لا يُشْبِهُ لَوْنُهُ لَوْنَ الآخَرِ"[4].

نكتةُ تنكيرِ ﴿جَنَّتِ﴾:

جنّات الخلود لا يُبلُغ كُنهُها ولا يقادَرُ قَدْرُها

تنكير لفظ ﴿جَنَّتِ﴾ يُراد به التَّعظيم، ولذا تقول العربُ: فلان رجلٌ؛ أي: عظيمٌ في الرّجوليّة[5]. وفي تنكير ﴿جَنَّتِ﴾ أيضًا تفخيمٌ لشأنِها،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 166، بتصرف.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 371.
(3) الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: 4/ 170.
(4) رواه الطبراني في مسند الشاميين، برقم: (492)، وهو صحيح كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم: (2734).
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 165.

وفيه إشارةٌ إلى أنَّها فوق تَصَوُّر العقول؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ: "قالَ الله تعالى: "أعْدَدْتُ لِعبادي الصّالِحينَ، ما لا عَيْنٌ رَأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ". فاقرؤوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17]"[1]؛ فـ "لا يُبْلَغُ كُنهُها ولا يُقادَر قدرُها"[2].

دلالةُ التَّعبير بالإكرام، ونكتَةُ صَوْغِه اسمَ مفعول في الخبر ﴿مُّكْرَمُونَ﴾:

الإكرامُ: التَّعظيم وحُسْنُ اللِّقاء، فقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ أي: هم مع جزائهم بنَعيم الجنّات يكرَمون بِحُسْن اللِّقاء والثَّناء، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرّعد: 23 - 24]، وقال سُبحانَهُ: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ﴾ [التّوبة: 72]"[3].

المؤمنون في الجنَّة ينالون الإكرامَ والتَّكريم مِن الله تعالى ومِنْ كُلِّ ما حَوْلَهُم

وفي التَّعبير بالإكرام في الخبر ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ غايةُ السَّعادة ونهاية المُنى لكلِّ أحد؛ إذِ المُكرِم هو الله تعالى، وبإكرامه ﷻ المُصَلّين يُكرمهم كلُّ شيءٍ، ويَحْتَفي بهم كلُّ شيء. وإذا كانت غايَةُ العُقَلاء أن يَنْجوا مِنَ الغضَبِ الإلهيِّ ومِن عذابه؛ فإنَّ هؤلاء المُصَلّين المُباركينَ قَد فاتوا ذلكَ الهمّ بمراحل، حتّى استقرّوا في جنّاتٍ، وهُم فيها مُكْرَمون؛ فيالَهُ مِن شرَفِ مكانٍ وسُموِّ مكانَةٍ!.

وفي صوغ ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ اسمَ مفعول إيحاءٌ بإحاطَتِهم بصُنوف الإكرام، وحلولِ الإكرام عليهم مِنَ الله تعالى، ومن كلِّ مَن يتَأتّى منه التَّكريم، كالملائكة، والحور العين، والولدان المخلّدين، وما لا نَعْلَمُهُ ممّا في الجنَّة؛ "لأنَّه سبحانه قضى بأن يَعْلوَ مقدارُهم حتّى يكونوا أعظمَ مشخَّص لهم في الغيب، مبالغًا في إكرامهم عند المواجهة؛ ليكون لهم نصيبٌ مِن خُلُقِ نَبيِّهم ﷺ"[4].

(1) رواه البخاري في صحيحه، برقم: (3244)، ومسلم في صحيحه، برقم: (2824).
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 138.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 175.
(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 410.

بلاغة الكناية في ﴿مُّكْرَمُونَ﴾:

مَن أخَذَ بصِفات المُصَلّين وداومَ عليها؛ أكْرَمَهُ اللهُ تعالى في جنّات النَّعيم

وراء التَّعبير بـ ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ كنايةٌ عنِ الرِّضوان الرّحمانيِّ والبرِّ الإلهيِّ بهؤلاء المُصَلّين، وعن تعظيمهِم وتشريفِهم بحُسْنِ لقاء الله تعالى هنالك في دار السَّعادة.

وفي الآية إبانَةٌ أنّ مَن وفَّى بهذه الأشياء الّتي ذَكَرَها سبحانه في هذه السّورة مِن الإدامة على الصَّلاة، وإيتاء الحقّ المعلوم، والتَّصديق بيوم الدّين... إلى آخر ما ذُكِر؛ هو الّذي يُكرم بالجنَّة، ومثلُهُ الخاطئ الّذي يَرجع عن خطيئته ويتوبُ عنها. فأمّا غير هذين فهو لا يَستوجب الإكرام بالجنّة. فما ذُكر من الإكرام بالجنَّة للصِّنفَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكرهما فهو كما ذَكَر، وأمّا الصِّنف الثّالث؛ فهُم الذين بُلوا بالخطيئات من أهل الإيمان ولم يتوبوا عنها، فقد يُرجَى لهم هذه الكرامةُ بِعَفْو الله ﷻ وكرمه وجودِه، ومَن كان هذا وصفَه لم يُؤَيَّسْ مِن إحسانه، بل كان العفوُ منه مأمولًا والإحسانُ منه مرجوًّا[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

اللّوم والتَّثْريب:

اللّومُ يكون على الفعلِ الحسَنِ والقبيحِ ممّا هو كائِنٌ، والتَّثْريب على القبيحِ فقَطْ ممّا كانَ

التَّثريب شَبيه بالتَّقريع والتَّوبيخ، تَقول: وبَّخه وقرَّعه وثرَّبه بِما كانَ مِنْهُ. واللَّوم قد يكون لما يَفْعَله الإنْسان في الحال، ولا يُقال لذَلِك تقريعٌ وتثريبٌ وتوبيخ، واللّوم قد يكون على الفِعْل الحسن، بخلاف التَّثريب، فلا يكون إلّا على قَبيح.

وَيجوز أن يُقال: إنَّ التَّثريب الِاسْتِقْصاء في اللَّوم والتَّعنيف، وأصله من الثَّرْب؛ وهوَ شَحم الجوف؛ لِأن البلوغ إلَيْهِ هوَ البلوغ إلى المَوْضِع الأقْصى من البَدَن[2].

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 210.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 53.

العدوان والطُّغيان:

العُدوان التّعدّي والظّلم، والإفراط فيه، والطُّغيان مجاوزة الحدِّ مع القَهْر

العدوان: هو التّعدّي والظّلم؛ وهو مجاوزة الحدّ. وقيل: العدوان: الإفراطُ في الظّلم[1]، وأمّا الطُّغيان؛ فهو مجاوزة الحدّ في المكروهِ مَعَ غلبةٍ وقَهْرٍ. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقّة: 11]، يقال: طَغى الماء؛ إذا جاوز الحدَّ في الظُّلم[2].

العهد والوعد:

العهدُ مشروط ويقتضي الوفاء، والوعد غير مشروط، ويقتضي الإنجاز

العَهْدُ ما كان من الوعدِ مَقْرونًا بشَرْطٍ، نحو قولك: إن فعلتَ كذا فعلتُ كذا، وما دمتَ على ذلك فأنا عليه، قال اللّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [طه: 115] أي: أعلمناه أنَّك لا تُخرج مِن الجنَّة ما لم تأكُل مِن هذه الشَّجرة، والعهد يقتَضي الوفاءَ، كما قال اللّه تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التّوبة: 111]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾ [الفتح: 10]، بخلاف الوَعْدِ؛ فإنَّهُ يَقْتَضي الإنجازَ، ولذا يقال: نَقَضَ العهد وأخلفَ الوعد[3].

وقال الشّاعرُ[4]:

وإنّي إنْ أوْعَدْتُه أوْ وعَدْتُه *** لَأُخْلِفُ ميعادي وأُنْجِزُ مَوْعِدي

على أنَّهُ يصحُّ أيضًا أن يُقال في الوعدِ وفاءٌ.

(1) ابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 84.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 337.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 379.
(4) هو عامر بن الطفيل، كما في ديوانه، ص: 58.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"